

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥١

٢٧ رمضان سنة ١٣٧٠

ذيل ثانٍ

للألفاظ السريانية في المعاجم العربية

اننا بعد تتبع وطلب في عدة مصنفات أحرزناها حديثاً، أوردنا هذا الذيل الثاني مشتملاً على اضافات وتصويبات وتعليق ، وسبع وسبعين لفظة جديدة . فالعمول في أصل الألفاظ المبحوث فيها ، على الفهرس الخاص الذي علقناه على رسالتنا هذه التي امتد بنا نفس البحث فيها تعليقاً وتحقيقاً حتى أمست كتاباً .

حرف الألف

اضافة الى ابل : حداد : قال ميخائيل هونتورا في كتابه « بيان النسبة بين اللغات الهندية الأوروبية واللغات السامية المطبوع عام ١٩٣٣ في صفحة ٣٠٩ : « وهي بالآتورية Ublu وبالعبرية Ebel » فهي بهذا المعنى مما توافقت فيه هاتان اللغتان والآرامية والعربية » .

آبنوس : قال المعلم بطرس البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الآبَنُوس والآبَنُوس

شجر معظم كالجوز ، له ثمر كالعنب وأوراقه كأوراق الصنوبر ، وخشبه شديد الصلابة أسود والهندي منه يوجد فيه بياض » وقال الشرتوني في معجمه ص ٣ « الآبنوس وفي لغة الأبتدس شجر مثمر معظم كالجوز وأوراقه كأوراق الصنوبر ، معرب واسمه العربي سأم » وقال الأمير الشهابي ص ٢٣٢ « آبنوس Ebénier شجر من فصيلة الآبنوسيات له خشب صلب أسود مشهور » وقال العلامة الذائع صيته مار غريغوريوس ابن العبري في « منتخب الغافقي في الادوية المفردة المطبوع في مصر سنة ١٩٢٢ ص ١٦ و ١٧ « ابنوس أقوى ما يكون الحبشي وهو أسود وليس فيه طبقات يشبه في ملامسته قرناً محكوكاً وكان كسره كثيفاً ٠٠٠ وفي الهند صنف منه فيه عروق لونها أبيض ياقوتي » ا ه وعلق عليه ناشرا الكتاب الدكتوران ماكس مايرهوف وجورجي صبحي في الترجمة الانكليزية بقولها ص ٧٤ « ان الكلمة تظن من اللغة المصرية القديمة Hbn وهي اسم الشجرة والخشب » عن : المصري القديم تأليف Loret ، وهي باليونانية Ébénos وباللاتينية Hébénus وباللغات الشرقية آبنوس الخ » ٠ وعلقت المطران بعقوب أرجين منّا في المروج الزهية السريانية ج ٢ ص ٣٦٩ على هذه اللفظة بقوله : « ابنوس ، نوع من خشب مُصمّت صلد كالخجر ولهذا سمي بالسريانية (ابنوسو : Abnouço) تصغير (ابنو Abno) وتفسير الكلمة ، حَجَر ، ومنا أخذها اليونان والعرب ٠ ا ه

وقال شارل جان في كتابه « أدب الآثوريين والبابليين » ص ٣٥٥ « Abné لفظه اكدية معناها حجارة ومفردها Abnu ٠ وأورد سبع ألقاب مركبة منها Aban-Samé ومعناها حجر السماء ٠ واللفظة كما وردت نقاً تعني بالسريانية حجراً ، قطعة لبن مشوي » ، كومة حجارة ٠ (دليل الراغبين ص ٣) وهي أيضاً بالعبرية Eben (معجم يرون ص ٣ ومعجم شامبريس ص ٢٦٠)

حيث ذهب المؤلف ان اللفظة اليونانية أخذت من العبرية Hobnim جمع لفظة

• Obni , Hobni

فاللفظة اذاً سريانية من أصل اكدى ، ومن السريانية اقتبسها سائر اللغات .
 أترج : أجمع دوفال ص ٣١٣ والمطران ادى شير في « الألفاظ الفارسية
 المعربة » ص ٣٤ والدكتوران مايرهوف وصحبي ص ٧٩ على نجار هذا اللفظة
 الفارسي . وكتب الينا الأمير الشهابي ان الأترج والتترنج من أصل
 سنسكريتي هو ماتلنغا ومنه انتقل الى الفارسية فالعربية . فمالي آراءهم .
 اتون : قال غوبدي في كتابه « بلاد العرب قبل الاسلام » ص ٥٧
 ان تنور واتون وفرن الفاظ أعجمية .

اضافة الى : اجار : ومنه حديث الهجرة فتلقى الناس الرسول في السوق
 وعلى الأجاجير والأناجير يعني السطوح « النهاية لابن الأثير ١ : ١٩ » .

وفي كتاب آداب الآثوريين لشارل جان ص ٢٦٧ و ٣٥٧ « Igaru »
 نطاق ، سور ، استعملت في اثر دون أواسط المئة السادسة ق . م » .

اضافة الى اجانة : واللفظة بالآثورية Agan وبالعبرية والكلدانية Agan
 Agam . توافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية (كتاب بيان النسبة بين

اللغات الهندية الاوروبية واللغات السامية لميخائيل هونتورا ص ١٢٣) .

آجر : قال الفيومي في المصباح المنير ص ١٢ « الآجر ، اللبن اذا طبخ ،
 بمدّ الحمزة والتشديد أشهر من التخفيف ، الواحدة آجرة وهو معرب .

وقال المطران ادى في الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧ نقلاً عن الأب
 هنري لامنس البلجيكي في كتابه الفروق ص ٣٣٠ « الآجور والآجر والآجر »

والآجرون تعريب اكور ، وهو تراب يحكم عجنه وتقريصه ثم يحرق لبني »
 وهذا عن محيط المحيط للمعلم البستاني ص ١٠ الذي ذكر فيه عشر لغات وقال

انه معرّب أكور بالفارسية . وقال لامنس انه جاء في الشعر الفصيح وأورد فيه آياتاً لبعضهم . وذكر السيد ادى ان فرنكل في ص ٥ من كتابه الألفاظ العربية الآرامية الاصل قال ان أصل اللفظة آرامي وهو موجود في اللغة الآثورية القديمة اه وهي بالآثورية Agurru . وارتأى دوفال أيضاً اصلها السرياني ص ١١٦ . ورواها الدليل Ogouro بالمفرد ص ٥ وابن بيهلول ص ٢٥ ويرون ص ٣ بالجمع Ogouré وزاد يرون انها بالآثورية Agurru وقال الدكتور امراييل ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ص ٤٠ « يظهر ان كلمة آجر ليست في الأصل عربية بل هي بابلية نقلها العرب الى لغتهم واستعملوها في الطين المحرق ، وأوردها في القاموس البابلي الآثوري ص ٤٩ Agurru . والأصح على ما يستنتج مما درسناه ان اللفظة آثورية الأصل ومنها اقتبستها الآرامية الفارسية فالعربية .

ادوناي : معناها الرب الاله القادر على كل شيء ، توافقت فيها اللغات الفينيقية Adan , Adon والآثورية Adunu والعبرية Adonāi والآرامية Odonāi , Adonāi : السيد ، الرب . (هونتورا ص ١٦٣ ، يرون ص ٤ الدليل ص ٦) .

اضافة الى إيران : قال امرؤ القيس : وعنّس كألواح إيران نساتها .
أي ضربتها بالمنسأة وهي العصا . (شعراء النصرانية ٣٩) .
وجاء مثله في شعر طرفة (ص ٣٠٠)

ارجوان : قال البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الأرجوان معرب ارغوان بالفارسية ، شجر له ورد يتنقل به الفرس على الشراب ، والأحمر وثياب حمراء وصنع احمر والحمر » وقال شارل ص ٢٤٤ - ٣٥٦ « Argaman-nu بالاكثدية تعني صباغة الثوب من جلد الحملان بالأحمر » وقال هونتورا ص ٣٩٢ « هي لفظة

مريانية • ووردت أيضاً باللغة السنسكريتية Ergewan , Argawan : شجرة زهرها احمر مصدرها من الفعل الماضي Argu , Argan ومعناه : تلاً لاً « وهي بالسريانية Argwono •

اضافة الى ارز : قال أيضاً مايرهوف وصنجي (جامع المفردات ص ٨٦) ان لفظ الأرز (الرز) لا تعرفه اليونانية ، وهو بالفارسية : پرنج •

اضافة الى آس : وقالوا أيضاً ص ٧٥ « آس هي باليونانية Myrsine وباللاتينية Myrtus وبالفارسية مُورد Mürd » انظر أيضاً القاموس الفرنسي الفارسي تأليف كازيميرسكي ص ٣٢٨ ووردت فيه Mourd وبالفارسية Myrte وورد الآس في شعر أعشى قيس قال : وآسٌ وخيريٌ ووردٌ وسوسنٌ (ص ٣٧٩) •

اضافة الى امي ، وآس : هي أيضاً بالآثورية Asa : آسي و Ass آس ، طيب (هونتورا ص ٣١٢ و ٢٣٨) •

اضافة الى أسل : أوردناها ص ١٧ Ouclo سهواً وصوابها : آوسلُو Awcło •

اضافة الى اكار : قال غوبدي في كتابه « بلاد العرب قبل الاسلام » المطبوع عام ١٩٢١ ص ٥٠ « كان الأعراب الرحّل يحتقرون الزراعة وقال أحد الشعراء : بالرمحُ يجازُ المجدُ لا بجرائنة الحقول • وفي الواقع ان الفاظ الزراعة هي آرامية الأصل وهي بحسب اقرار الأعراب أنفسهم : اكار ، اريس ، نير ، اندر ، ناطور ، فدآن •

قلنا اننا نستثني لفظة اريس وجمعها أراسة اذ ليست في لغتنا •

أمة : الأمة المملوكة (الشرتوني ٢٠) لفظة توافقت فيها الآثورية Amatu أو أمثُو والسريانية Amo , Amtho أمو ، أمثُو ، والمعبرية

Amah أمه ، والعربية ولغات جنوب الجزيرة والحبشة : أمة (الدليل ٢٤ و برون ٢٠ وهونتورا ٢٧١ وولفسون ٢٨٤) فهي اذا سامية النجار .
 اضافة الى إمّر : تشترك في هذه اللفظة الفينيقية Hamar والآثورية Himmeru (هونورا ص ٢٥٧) .

اضافة الى أنبوب : هو بالآثورية Amboub ومعناه : قصة ، زمارة وبالسريانية Aboubo هونورا ص ٣٧٣ .

اضافة الى اندر : الأندر البيدر بلغة أهل الشام و كدس القمح ج أنادر (محيط المحيط ص ٢٠٥٥-٢٠٥٦) وفي النهاية لابن الأثير ١ : ٤٦ « وفي حديث عمر كان لأبوب اندران : الأندر البيدر وهو الموضع الذي بُداس فيه الطعام بلغة أهل الشام » .

وفي كتاب صورة الأرض تأليف ابي القاسم ابن حوقل النصبي ، القسم الثاني طبعة ليدن سنة ١٩٣٩ ص ٣٠٤ « ولم يرم (قباد) حتى جعل فارس مقاطعات وخراجات تُقْبَضُ اذا حُيِّنَ ما في الأنادر ، وتُصْرَفُ الأكرة والمزارعون في البيادر » .

اضافة الى آتلك : هو أيضاً بالآثورية Hanak وكذلك بالعبرية (هونتورا ص ٣٠٢) .

اضافة الى إيل : توافقت فيها اللغات الفينيقية Aila والآثورية Ailu , Ilu والآرامية Ailo والعبرية Ayial والعربية : إيل والحبشية Aialu . ووردت أيضاً بهذا اللفظ في اليونانية واللاتينية والغالية والجرمانية (هونورا ١٤٩) .

حرف الباء

باب : لفظة توافقت فيها الآثورية Bābu : باب (المعجم الآثوري للأب شيل ص ٥٢) والسريانية Bobo , Bobo : باب صغير (الدليل ص ٤٩) والعربية ، وجعلها هونورا ، سامية ص ٢٣٠ .

اضافة الى بابوس : وجاء في شعر ابن احمر لغير الانسان (النهاية لابن الاثير ١ : ٤٦) .

اضافة الى الباربي : وقال الأصمعي ، الباربي والبوري عربي وأنشد للعجاج :
كأخض " اذ جلته الباربي " (محيط المحيط ص ١٤١)

اضافة الى باشق : وقال السيوطي في الكنز المدفون ص ٨٠ في الباشق لغتان باشق وباسق .

اضافة الى باطية : توافقت فيها الآثورية Batu (هونتورا ص ٣٨٧) والسريانية ، ومن هذه اقتبسها العربية .
اضافة الى باعوث :

ص ٢٤ في الهامش : وذكر المعلم بطرس البستاني ، صلاتي ثاني عيد الفصح وطلب المطر (محيط المحيط ص ١٠٥) .

بتول : البتول ، الشاب ، العزب والشابة العزباء البكر ، توافقت فيها الآثورية Batulu : بتول ، شاب (النحو الآثوري للأب ف . شيل وفوسسي ص ٥٢) وهونتورا ص ١٧٠ Batulu : فتى ، شاب و Batultu : فتاة) والسريانية Bthoulo , Bthoulto بتول ، عزب ، بتولة ، عذراء ، والفعل Bthal و Ethbatal : تبتل ، كان بتولاً . والمعبرية : Betulah : فتاة ، بكر (هونتورا ص ١٧٠) والعربية .

اضافة الى بجران : قال الطبيب عبيد الله بن بختيشوع المتوفى سنة ١٠٦١ م في كتابه الروضة الطبية الذي نشره بمصر القس بولس مباط سنة ١٩٢٧ ص ٦٠ « البجران هو بحسب هذا الامم في اللغة السريانية ، القضاء بين الخصمين لانهم شبهوا الطبيعة والمرض بخصمين قد تقدما الى الحاكم ، وكل منهما خائف من بت الحكم عليه . فعلى هذا الوجه وضعوا اسم البجران . فقد بان ان معنى

البحران من هذا القول ، هو تغير يعرض للأمراض بغتة ، وهذا التغير لازم لسائر الأمراض الا انه في الأمراض الحادة أظهر وأبين » وجمع بحران بجارين ، قال في الصفحة نفسها ، « وأصناف البحارين سبعة » .

بَرْق : صاعقة توافقت فيها الآثورية Birku والسريانية والعبرية Barko (هونتورا ص ٣٠٢) .

بَرْك : سامية Baraka (هونتورا ص ١٢٣) .

إضافة الى بَرنس : قال المهلهل اخو كليلب :

وإذا تشاء رأبتَ وجهها واضحماً وذراعَ باكيةٍ عليها بَرْنُسُ

(شعراء النصرانية ١٧٩) .

بَساً : توافقت فيها الآثورية Bastu والآرامية Bso والعبرية Boza والعربية (هونورا ص ١٦٣) .

بَصَل : البصل البقل المعروف هو بالسريانية : بِيصلو بَصَلو : Baslo , Beslo (الدليل ٧٦) وبالعبرية والعربية بصل (برون ٥٢ وهونورا ٣٠٦) وذكر هذا انه بالآثورية Basalu فاللفظة من توافق هذه اللغات الأربع .

إضافة الى إستوقة : وفي محيط المحيط ص ٩٢ « قلّة من الفخّار فارسي معرب » . تحقيق في لفظة بعير : تورط بعضهم في رأي فائل أخذاً عن الدميري في كتابه « حياة الحيوان » ج ١ ص ١٣٣ عن ابن السكيت وخلاصته « ان البعير سمي بعيراً لأنه يبعّر . يقال بَعَرَ البعير يبعّر بفتح العين فيها بعيراً باسكان العين كذبيح بذبحاً ، وهو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الابل بمنزلة الانسان من الناس ، فالجمل بمنزلة الرجل وانما يقال له بعيراً اذا اجذع » . وهو تمليل مغلوط فيه لا يلتفت اليه ، وذلك ان ذوات الحفّ والظلف كلها تبعر ، قال الفيثومي في المصباح المنير ص ٨٧ « البعّر معروف وهو من

كل ذي ظِلْفٍ وَخُفٍّ ، وَبَعَرَ ذلك الحيوان بهراً من باب نفع ، التي
 بهرء « ومثله في أقرب الموارد ١ - ٥٠ و قطر المحيط ١ : ١١٩ وعلى رأي الدميري
 ومن قال بقوله : يصح أن يسقى بهيراً كل من الشاة والعنز والأرنب والغزال
 والايثل وغيرها ! ومن قبيل تعليل الدميري الفارغ قوله سج ١ ص ١٩ لفظ
 الاتان من الايتان ، وص ١٨٠ « وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض كما
 سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها » وقوله في الخنزير ١ : ٣٠٣ « وحكى ابن سيده
 عن بعضهم انه مشتق من خرز العين لأنه كذلك ينظر .

وأما ابن جتسي الذي استأثر لنفسه اكنناه سر اللغة ولطائفها في ما زعم ،
 فبعد أن قال ص ١٢٤ « الناقة فعلة من قولهم تنوقتُ في الشيء اذا أحكمته
 وتخيبرته ، أردف ص ٥١٤ « وعلى هذا قالوا (جمل) لأن هذا (فَعَل)
 من الجَمَل ، ونقله عنه المعلم بطرس البستاني وعلته بان العرب يحسبون الجمال
 جمالاً وزينةً (محيط المحيط ص ٢٨٩) وفي ص ٥١٥ ولذلك قالوا البقر
 من بقرت بطنه اذا شققته ، فهو الى السعة والفسحة و ضد الضيق والضغطة » !
 مع ان هذه الأسماء تشترك فيها لغات شتى وأخصها السريانية .

فان جمل بالسريانية والكلدانية Gamlo وبالآثورية Gammalu وبالعبرية
 Gimmel وبالحبشية Gamal . والثور بالفنيقية Tor والسريانية والكلدانية
 Tauro وبالعبرية Shôr شور وبالحبشية والمغولية Toro وكذلك باللاتينية
 Tauro . والبقر سامية وبالعبرية Bacar , Vacar والسريانية Bacro (بقرو) .
 والخنزير هي بالآثورية Canacara و Habacar والسريانية Hziro (حزيرو) .
 وإبل هي بالآثورية Ibilu . وورد في السريانية Aboulo : قافلة من إبل^(١) ،

(١) دليل الراغبين .

وفي محيط المحيط ، « الأَبُول والابَّول : القطعة من الابل » ، (نسبة اللغات لميخائيل هونورا ص ١١٨ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٦ و ١٩٣) .

وقس على هذا قوله في البازي ١ : ١٨٠ « لفظه مشتق من البزوان وهو الوئب . وفي الدرّاج ج ١ - ٣٣٥ « الدرّاج القنفذ صفة غالبية عليه لأنه بدرج ليله كاته ، قاله ابن سيده » وفي الدجاجة ١ - ٣٢٨ وسميت الدجاجة دجاجة لانباها وادبارها ، يقال دجّ القوم يدجّون دجّماً ودجيجاً اذا مشوا مشياً رويداً في تقارب خطو ، وقيل هو ان يُقبِلوا ويُدبروا » وبمثله تقدّمه ابو علي الفاي في كتابه البارع قال « داجٍ وقال غيره الداج الذين يُقبِلون ويُدبرون وهو الدجيج وانما سميت الدجاجة لأنها تُقبِل وتُدبر » !

ولا نعلم أية اناقة أو تنوّق وجد ابن جنى في شكل الناقة أو في سيرها وأي جمال سحره من أوضاع جسم الجمل حتى انه استجاز هذا الاشتقاق الغريب وان كان العرب يتعاملون بكثرة جاهلهم ، ولا نظن عالماً عربياً أو مستعرباً ذكياً يقتنع بهذه التخاريج الملققة .

وقال الفيروزابادي ١ - ٣٧٤ و ٣٧٥ البعير باسكان العين ويُدبرك ، رجميع الحُفّ والظَلْف ، والفعل كمنع ، والبعير وقد تكسر الباء الجمل البازل او الجذع وقد يكون للأنثى ، والحمار وكل ما يحمل ، وهاتان عن ابن خالويه . وفي الهامش « قوله والحمار الخ قال ابن بري ، وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسئول المتنبّي ، قال ابن خالويه والبعير أيضاً الحمار وهو حرف نادر القيته على المتنبّي بين يدي سيف الدولة ، وكانت فيه خنزوانة وعنجهية فاضطرب . فقلت المراد بالبعير في قول القرآن : ولما جاء به حمل بعير (الحمار) ، وذلك ان يعقوب واخوة يوسف كانوا بارض كنعان وليس هناك إبل وانما كانوا يبتارون

على الحمير ، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره « ا ه ثم ان في قول الدميري « انما يقال له بعير اذا اجذع » دليلاً على ان هذا الاسم لا يطلق عليه من باب التعميم لكنه مخصص به اذا اجذع اي بلغ سنه الخامسة ، كما قيل فيه الجمل البازل وهو البالغ سنه التاسعة .

وأما لفظة (بعير) B'ero السريانية فدونك مدلها في المعاجم السريانية : ابن بهلول ، عمود ٤١٤ : البهائم ، الأنعام ، وفي نسخة ثانية ، الحيوانات التي تعتلف العشب . ومنها الأكل ومنها للعمل في ما يحتاج اليه ، وعدتها دوفال من الألفاظ السريانية والعبرية ٣ : ٨٩ . وفي القاموس العتيق : الأنعام والبهائم والبعير وما اعتلف الحشيش . وفي برون ص ٢ : بهائم ، أنعام . وفي الباب ١ : ١٣٢ البيهية والدابة . وفي دليل الراغبين ص ٧٥ دابة ، بهيمة ، ماشية ، جمل ، بعير .

وجاء في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة Warmi Kesto la'bourhoun وترجمتها بحسب النقل الموالي « وصبَّ علفاً لخميرهم » تكوين ٤٣ : ٢٤ . وقال الدميري نفسه ج ٢ ص ٣٦١ « النعم عند اللغويين ، الأبل والشاء يذكر ويؤنث ، وقال ابن الاعرابي : النعم الأبل خاصة والأنعام للأبل والبقر والغنم . وحكى القشيري في تفسير الأنعام ، انها الأبل والبقر والغنم والخيول والبعال والحمير » .

وجاء في محيط المحيط ص ٢١٠٠ « النعم وتسكن عينه ، الأبل والشاء او خاص بالأبل ج انعام واناعم » وفي المصباح : « النعم المال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الأبل . قال ابو عبيد : النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكر ج نعمان مثل حمل وحملان ، وأنعام أيضاً . وقيل النعم الأبل خاصة ، والأنعام ذوات الخنف والظلف وهي الأبل والبقر

والغنم . وقيل يُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فاذا انقردت الإبل فهي نَعَمٌ ،
وإذا انقردت الغنم والبقر لم تُسمَّ نَعَمًا « ٥١ .

ومن هذا نستنتج ان تفسير ابن بهلول وصاحب المعجم العتيق لهذه اللفظة ،
يشمل أيضاً معنى البعير الذي صرح به الأخير فضلاً عن صاحب الدليل وهو الأصح .
وأثبت ما يقال في لفظة البعير انها مما توافقت فيه اللغات السامية .

بَلْتور : البَلْتور والبِلْتور ، جوهر أو صنف من الزجاج معرب فيثرائس
باليونانية (محيط المحيط ص ١٣١) قال هونتورا ص ٣٦٦ « بَلْتور Buralu
بالآتورية و Bélouro بالسريانية و Bérullo باليونانية . وهي في اللاتينية
والفرنسية Beryl .

بندق : قال غويدي ص ٥٠ « وكان 'يحمل الى العرب من البلاد الأجنبية
عنها شيء كثير من الأعراس والنار كالبنديق ، فان أصله من بلاد البنطس
ونسبة الى بلاده الأصلية سمي Nux Pontica جوز البنطس وسمي بالآرامية
Pendco وبالعربية أخذاً منها : بندق .

بني : أنشأ بناءً توافقت فيها الآتورية Banu (غراماطيق شيل وفوسني
ص ٣٦) والآرامية Bno والعربية .

تصحيح للفظه بُووس : جاء في القاموس العتيق : بوضو Bouço : الكتان
الرقيق مثل القصب والدبقي ويقال أيضاً الدمقس اذا خالطه الابرسم .
وقال ابن بهلول ع ٣٧٢ « بوضو ، حرير الكتان مثل القصب والدبقي ،
آخر ، الكتان الرقيق ، الدمقس المنسل ، حرير مغزول . وقال ابن سروشويه :
انه يستخرج من لب قصب الكتان ويسمونه (قَنَز) وقيل هو ما ينسجه
دود الحرير وهو أبيض الخ » وعدّها دوفال في جملة الألفاظ السريانية ٣ : ٨٦ .
وفي الباب ١ : ٩٤ « الدمقس أي الحرير الأبيض والديجاج او الكتان » .

- وفي كنز اللسان السرياني ١ : ٦٥ « الككتان الرقيق الأملس الأبيض » .
 وفي دليل الراغبين ٦٥ « ككتان ، حرير أبيض » .
 وورد في التوراة البسيطة (تكوين ٤١ : ٤٢) Lbousho , Dbouço .
 Walebshé وترجموها بارجوان الالبروتستانتية فقالت « والبسه ثياب بٌوص » .
 وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ « وارجوان وقرمز وبوص » انظر أيضاً ٢٧ : ١٦
 و ١٨ : ٥ و ٦ و ٨ و ١٥ الخ في النقلين الموصلين والبروتستانتية . وفي سفر
 استير ١ : ٦ « بستائر ٠٠٠ معلقة بجبال بوص وارجوان في حلقات من فضة »
 في النقلين القديم والموصلين ، وهذا اللفظ أورداهما في انجيل لوقا ١٦ : ١٩
 « ويلبس البرفير والبوص » وفي سفر الرؤيا ١٨ : ١٢ « تجارة الذهب ٠٠٠
 والبوص والارجوان والحرير والقرمز » وعدد ١٦ « المدينة العظيمة المتحفة
 بٌوصاً وارجواناً وقرمزاً » .

ووردت اللفظة أيضاً في نقش الملك كلو بن حياّ الراجع الى المئة الحادية
 عشرة ق ٠ م : قال « فني أياي كسي بَص » تاريخ اللغات السامية لولفسون
 ص ٦٥ و ٢٧٤ في الكلام على اللغة الكنعانية (الفينيقية) .

وجعلها شامبريس في معجمه يونانية الأصل Byssos ومعناها : كتان
 رفيع جداً ص ٥٠٩ . وكذلك معجم ثيبيل ص ٢١٣ وقال فيها في اللاتينية
 Byssus ولكن العرب المسيحيين أوردوها بلفظها السرياني ، بٌوص (قَطْر
 المحيط ص ١٥٤ ومحيط المحيط ١٤٢ وأقرب الموارد ٦٧) ولم يقولوا بيستوس
 ولا بيس أو بيس .

أما فرنكل فقال في كتابه « الألفاظ العربية الآرامية الأصل » ص ٤٠
 « ان لفظة الحنَزّ اما فارسية واما آرامية مأخوذة من (بوصو Bouço) وقال
 ايضاً المطران ادتي في كتابه (الألفاظ الفارسية المعربة) ص ١٣٤ « والبوص

آرامي الأصل مُشتقٌ من (بُوص Bos) وهو فعل مات في اللغة الكتابية لكنه مستعمل في اللغة الدارجة ومعناه ، تلاًلاً ، اضاء ، سطع ، ويرادفه العربي باضَ بَوْضاً ، حسن وجهه بعد كَلَّفَ (الشرطوني ٦٧) ومن (بوصو) مأخوذ العربي (بُوص) والعبراني بوص Butz واليوناني Byssos واللاتيني « Byssus » .

وقال ميخائيل هونتورا ص ٢٧٤ « لفظة البرص هي بالفينيقية Buts وبالعبرية Buts وبالسريانية Butso وبالآثورية Buk وباللواتينية Bussos وباللاتينية « Byssus » .

فترجح انها فينيقية الأصل ووافقتها فيها الآثورية والآرامية والعبرية ، ومنها اقتبسها اليونانية واللاتينية ، ومن الآرامية أخذها العرب المسيحيون .
بيث : توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية ، وقال لفظسون ص ٨ « انها من اللغة السامية الأصلية Bi - i - tu , Bytu » .

بيعة : اجمع عشرة علماء كتب تسعة منهم بالسريانية وواحد بالعربية وهم :
ثاودورس بن كوني أسقف كسكر (حوالي سنة ٧٠٠ م) في كتابه (اسكوليون) مج ٢ ص ٤ و ٥ وُطبع في باريس ، ويشوعداد المروزي اسقف الحديثة في آثور (نحو سنة ٨٥٠) في كتابه ، تفسير اسفار العهد الجديد مج ١ ص ١١١ - ١١٢ وهو مطبوع ، وحنانياشوع بن سروشويه اسقف الحيرة (نحو سنة ٩٠٠) في معجم ابن بيلول ، وموسى ابن كيفا اسقف بارمان .
ويث كيونا (٩٠٣ +) في كتابه الخطب مج ١ ص ٩٠١ وهو مخطوط في خزانتنا ، والحسن بن بيلول (سنة ٩٦٣) في معجمه المشهور عمود ١٤٠٨ - ١٤٠٩ ، والطبيب ابو نصر ابن جرير التكريتي السرياني (نحو سنة ١٠٧٩) في كتابه العربي الموسوم بالمرشد في الباب التاسع والعشرين في بناء البيعة ، وهو مخطوط في خزانتنا ، ويعقوب بن صليبي مطران آمد السرياني (١١٧١ +) في كتابه

تفسير الانجيل ، النسخة المطبوعة في باريس مج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢ والنسخة
المخطوطة بقلم المؤلف على مانزى وهي مصنونة في خزانتنا في تفسير الآبة ١١
من الفصل ١٦ من انجيل متى ، ويعقوب البرطلي مطران دير مار متسى وأذريجان
السرياني (١٢٤١ +) في كتابه الموسوم بالكنوز ، وهو مخطوط في خزانتنا
الفصل ٣٩ من المقالة الثانية ، والعلامة مار غريغوريوس بن العبري مفران
المشرق (١٢٨٦ +) في كتابه مخزن الأسرار في تفسير الآبة المذكورة آنفاً ،
أجمع هؤلاء الفضلاء ان لفظه - البيعة - كما وردت في اللغة السريانية (عيتو
Ilo) مشتقة من لفظه (عيدو Ido) والفرق بين اللفظتين ان عيتو مؤنث
وعيدو مذكر ومعناه ، محفل حافل بالأفراح ، فإذا ان البيعة تعني جماعة المؤمنين
الذين يجمعهم وحدة الدين والطريقة .

وقال غيرهم ان لفظه البيعة عبرانية النجار تفسرها بالسريانية (كئوشتو
Knoushto) ومعناها هلموا فاجتمعوا (جماعة) ويقال لها باليونانية اقليسيا ،
وترجم بالسريانية ، دعوة ، ارادوا بها انها دُعيت من سائر الشعوب والأمم
فاجتمعت . هذه صفوة ما أورده ثمانية علماء بالسريانية ، ونضيف اليها ما قاله
عبد يشوع الصوباوي مطران نصيبين (١٣١٨ م) في كتابه « الجوهرة » المطبوع
ثانية في الموصل سنة ١٩٢٤ . (في الباب الثالث والفصل الثامن ص ٣١) وترجمته
« ان اسم البيعة ، بدل على محفل وعيد » او يعني اجتماعاً حافلاً .
ودونك النص العربي لما أورده في هذا الباب ابو نصر التكريتي في كتابه ،
المرشد ، قال :

« اسم البيعة عبري تفسيره الجماعة ، وليس المراد بهذا الاسم الحيطان
ولا الجدران ، لكن المجمع الذي يجتمع فيه المؤمنون بالمسيح للصلاة والعماد
والقربان وباقي العبادات . وفي اليوناني سمي اقليسيا ومعناه الدعوة اي ان الشعوب

المجتمعين فيها دُعوا إليها للعبادة . وفي السرياني عيتو ، اي جماعة ، وقد تسمى أيضاً في حقيقة لغتهم (كنوشتو) اي جماعة ، و (كنوشتيو) اي الاجتماع . كل هذه اسما يدلّ بها على الاجتماع الذي الغرض فيه العبادة على ما استقرّ في السنّة المسيحية . والرسول فولوس يقول ، أعطوا السلام للبيعة اي يعني الجماعة التي آمنت بالمسيح ، والآباء في الأمانة السليحية يقولون : ونقرّ في بيعة واحدة قدسية جاثليقية ورسولية ، اي جماعة المؤمنين جمعاً ورث عن الرسل اي السليحين وورثت الايمان عنهم ، وخاصة شمعون الصفا الذي قال له سيدنا انت الصفا وعليك أبنى يعني ، اي انك الأصل والاساس الذي بك تقتدي جماعتي المؤمنة » ا هـ .

ومما يؤيد اشتقاق لفظة البيعة من (عيد) بحسب اجماع الأئمة الثانية ، ايرادها في معظم المعجمات السريانية في حرف العين ، من ذلك معجم يشوع ابن علي ص ٣٠٢ وأردفها بلفظة (عيد) ومعجم ابن بيهلول ع ١٤٠٨ - ١٤٠٩ والقاموس العتيق ، ومعجم المطران توما اودو ميج ٢ ص ٢٠٧ ودليل الراغبين ص ٥٣٢ بعد (عيد) وصرّح ان (عيتو) بالفين : جماعة ، جمهور ، محفل ، بيعة ، كنيسة . ما عدا معجم اللباب الذي ذكرها في حرف الواو ١ : ٣٢٦ وقال ان التاء فيها عوض من الواو وقد يعتاض عنها بتضعيف الدال فيقال Edo واستشهد على ذلك بيت لمار افرام . أما معجم برون فأثبتها في حرف الواو من فعل Wa'ed . i'ed : يعيد واعييد ص ١١٧ و ١١٨ وفي حرف العين أيضاً ص ٤٢٩ . ولفظة العيد نفسها تعني بالسريانية أيضاً : حفلة ، جمع ، ملاً (دليل الراغبين ص ٥٣٢) .

هذا ما أجمع عليه القدماء . أما المحدثون فان الأب لويس شيخو المتوفى سنة ١٩٢٧ ذهب الى ان لفظة البيعة سريانية (بييتو Bitito) ومعناها البيضة

والقبة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً (النصرانية وآدابها بين عرب
الجاهلية ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢) .

وذهب البطيريك افريم رحماني المتوفى عام ١٩٢٩ انها مشتقة من لفظة
(وَاَعِيْدُ Wa'ed) ومعناه جمع ولائم (الليتورجيات الشرقية والغربية ص ٥٦) .
وارتأى المطران بوحنا دولباني السرياني من المعاصرين لنا انها مصدر من
فعل (وَاَعَادَ W'ad) المأتم على صيغة (صَفِثُو Seftho) من فعل (اِصَيَّفُ)
(Ysef) ومعناه اهتم و (شِنِثُو Shenthho) من فعل ايشين Ishen ومعناه وَسَّنَ ،
نام ، رقد) .

أما نحن ففضلنا آراء أئمة اللغة القدماء وهي عندنا أولى من المعاصرين بتفهم
معاني الأسماء وأسباب تسميتها . ولاح لنا كأنهم اعتبروا لفظة (بيت)
السابقة للفظتي عيد أو عيتو وكتنهما بمعنى : جمع ، محفل ، ملاء ، وان لم ترد صراحة
في المعجمات التي بيدنا ، على ان هذا التركيب لا يمنع القياس ولا أصول اللغة
السريانية واصطلاحاتها ، فقد أحصينا فيها ١٧٢ لفظة تتقدمها (بيت) ومنها
Beth - bauto مبيت Beth - Wa'do مجتمع ، مقر . Beth - houçio
محراب Beth - cnoushtio مجتمع ، كنيسة Beth - cnoushtio بيعة ، كنيسة
النصارى واليهود Beth - nouro : معبد النار Beth - seghdto : مسجد ، معبد
Beth - ma'mro : منزل Beth - saubo : مجتمع ، كنيسة ، مدرسة
Beth - sloutho : مصلى ، معبد Beth - coudsho : مقدس Beth - shabtho :
كنيس اليهود Beth - machrio : منزل Beth - teshmeshto مصلى ، معبد .
ولا يبعد أبداً ان يكونوا صاغوا بيعة من Beth - ido او Beth - ito
فاستعملوا فيها الادغام اذ أخذوا الباء والياء من (بيت) والعين والتاء من
(عيد) متبدلين الدال بالتاء ، كما فعلوا في (بيت اذرو Beth - edhro)

فقالوا فيها بيدر ، آخذين من الأولى الباء والياء ومن الثانية الدال والراء .
وقد نقل السيد رحمانى في الليتورجيات ص ٥٦ ، نصاً قديماً يرجع الى المئة
الرابعة ، ان الكنيسة كانت تسمى بيت الجماعة .

ولفظة (عيتو) وردت في سفر المزامير بمعنى : جماعة ، محفل ، وجاءت بالمعنى
الذي تقصده في انجيل متى ١٨ : ١٧ « وان لم يسمع منهم فقل للبيعة » وان
لم يسمع من البيعة فليكن عندك كالوثني والعشار » (الترجمات الموصلية
والقديمة والشديافية واليسوعية) والمراد بالبيعة هنا جماعة المؤمنين . ووردت بمعنى
المصدى والمعبد في أقوال شعراء الجاهلية من ذلك قول ورقة بن نوفل
أقول اذا صلّيت في كل بيعة تباركت قد اكرت باسمك داعياً
وقال لقيط بن معبد في عينيته التي وجهها الى قومه تحذيراً لهم من كسرى
ذي الأوتاد :

تامت فؤادي بذات الخال خربة^١ مرّت تريد بذات العذبة البيعة
(مختارات شعراء العرب لهبة الله العلووي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥)
وقال عبد المسيح بن بقليلة :

من بدور فوق أغصان على كسب زرن احساباً بيعة

(معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) .

وأوردنا ص ٣٣٠ من المجلة ، قول الزيرقان بن بدر التميمي لما وفد على الرسول .
وهذه الاسناد نقلناها من كتاب النصرانية وآدابها للأب شينخو (١ : ٢٠٢ و ٢٠٣)

ونعلم أيضاً ان جريراً سمي متعبد الجوس « بيعة » بقوله :

مشي المرابذ حجّوا بيعة الزؤون

والزؤون بيت الأصنام (اساس البلاغة ١ : ٤١٢) .

غير ان جريراً استعمل هذه اللفظة لمتعبد الجوس الكفرة ، اما استهتاراً
بسائق سفاهة وعصبيته البيضة ، واما لضرورة الشعر ، على ان متعبد الجوس

يسمى بيت النار كما ورد في فقه اللغة للنعالي ص ٣٠٤ ، وسروج الذهب للمعمودي ١ : ٣٨١ - ٣٨٥ ، ويطلق عليه حيناً : هيكل وهو لفظ قديم خُصَّ غالباً ببيت الأصنام ، أما البيعة فهي باجماع علماء العربية للنصارى .
 وما يجب ملاحظته ان لفظه (بيعة) عم استعمالها قديماً بلاد العراق والجزيرة ومصر ، فلا نجد سواها للدلالة على الكنيسة في الكتب التالية وهي : سير البطارقة الأقباط لسويرس ابن المقفع اسقف الأشمونين المطبوع في باريس ، الجزء الأول ص ١٣ و ١٦ و ٤٩ و ٥٠ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٨ و ٧٣ و ٢٤٨ الخ ، ومقالة في أقسام الدين للشيخ ابي سهل المسيحي الجرجاني (مقالات دينية نشرها الأب شيخو ص ١١٨) وتواريخ ايليا مطران نصيبين وماري بن سليمان وعمرو ابن متى الطيرهاني من كتبة المئات الحادية والثانية والرابعة عشرة للميلاد ، وكتاب التراجم السنية للجائليق ايليا الثالث ابي حلیم (١١٩٠ م) ١٤٣ و ١٤٧ و ١٦٨ و ١٧٠ و ١٨٨ و ٢٠٥ و ٢٣٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٩٢ و ٣٠١ و خطبة ليشوعياب بن ملكون الدنيسري مطران نصيبين نشرت في الكتاب المذكور ص ١٥٩ وقد كررها أربعاً ، ومقالته في الرد على من يتهم النصارى بعبادة الأصنام لسجودهم للصلب (مباحث فلسفية التحبها القس بولس سباط ص ١٥٩) وكتاب المرشد لأبي نصر التكريتي ، وفيه ذُكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في الأبواب الثالث عشر والسادس عشر والتاسع والعشرين والحادي والخامس والثلاثين . وكتاب خطب الشيخ الصفي بن العسال القبطي المطبوع عام ١٨٨٧ ص ٤ و ١٦ و ١٨ و ٢٢ و ٧٤ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ وفصوله في تثلث الاتحاد (مباحث فلسفية ص ١١١) والتاريخ الموسوم بتاريخ سمعت ج ١ ص ٩ و ٢٦ و ٣١ و ١٨٦ الخ و ج ٢ ص ٣٠٧ فضلاً عن تاريخ ابن بطريق وذيله ليحيى الانطاكي وسيرة يوحنا الدمشقي للراهب ميخائيل السمعاني الرومي وتاريخ مختصر الدول ، وتاريخ الطائفة المارونية للدوبيي ، التي لا تخلو منها .

وإذا طالمت كتاب فتوح الشام للواقدي (٨٢٣ م) الجزء الأول ص ٧٤
 و ٨٠ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠١ و ١٨٩ و ٢٠٣ و الجزء الثاني ص ٨٣
 و ٩٢ و ٩٤ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١١٢ و ١١٣
 و ١١٤ و ١١٥^(١) . وفتح البلدان للبلاذري (٨٩٢ م) ص ١٣٢ و ١٨١
 و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٣٤٠ و خصوصاً ما تضمنته من كتب عهد الأسراء الفاتحين ،
 والفهرست لابن النديم (٩٩٥ م) ص ٤٦٧ و ٤٩٠ . وتاريخ ماردين لعبد السلام
 ابن خطيب التكية (١٨٤٣) م وهو مخطوط في خزانتنا^(٢) ، تقف على هذه
 اللفظة أكثر بكثير من لفظة (كنيسة) .

كما انه لا يزال يستعملها خاصة حتى اليوم ، نصارى ما بين النهرين والعراق ،
 فلا تكاد تسمع منهم لفظة كنيسة التي تسمها اليوم خصوصاً في بلاد الشام .
 فنخرج من بحثنا هذا بتأييد رأينا في أصل هذه اللفظة السريانية وطريقة
 اشتقاقها وزمان استعمالها .

حرف التاء

تِبِن : التِبِن عَصِيفَةُ الزَّرْعِ مِنْ بَرٍّ وَنَحْوِهِ ، الْوَاحِدَةُ تِبِنَةٌ وَالتَّبَانُ بَائِعُ
 التَّبِنِ ، وَتِبْنٌ جَعَلَ التَّبِنَ فِي الْمَتْبِنِ (أَقْرَبُ الْمَوَارِدِ ٧٣) وَفِي السَّرْيَانِيَّةِ (تِبِنُو
 Tebno) تِبِنٌ (وَتَابِينُ Tabèn) تِبِنٌ ، وَ (تَابُونُو Tabono) تِبَانٌ بَائِعُ
 التَّبِنِ (الدَّلِيلُ ٨٢٨) وَقَالَ هُونُورَا ص ٣٠٢ هِيَ بِالسَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَبْرِيَّةِ Tabana
 وَبِالْآثُورِيَّةِ Tibanu . فَهِيَ إِذَا لَفْظَةٌ تَوَافَقَتْ فِيهَا الْآثُورِيَّةُ وَالسَّرْيَانِيَّةُ
 وَالْعَبْرِيَّةُ وَالْعَرَبِيَّةُ .

(١) من الثابت عند اهل التحقيق ان كتاب الواقدي ، وان كان سكه في قلبه
 الحالي بعض الكتابة في اثناء الحروب الصليبية على الارجح ، فانهم حفظوا من اصله الفاظاً
 وعبارات شتى اوردها على علاتها .
 (٢) وذكر ست بيع وثلاث كنائس لماردين ونصيبين .

تصحيح تُبَّان : سراويل صغير ثبت عندنا أصلها الفارسي تعريباً من (تُبَّان) تمساح : التمساح والتيمسح بالكسر ، حيوان يكون بنيل مصر وبعض أنهار السند (الشرتوني ١٣٠٩) وأضبط من هذا التعريف ماورد في معجمي شامبريس ١٩٥ ولاريف ٣١٠ وهو : « Krokodelios , Krokodelius : لفظة يونانية تعني حرذون ، ضَبَّ ، وهي أحناش عظيمة الجثة تحكي في ظاهرها الحراذين أو الضباب »^(١) . قال هونورا ٢٩٩ « وامم هذا الحنش بالآثورية Tamaçaku » وهو بالسريانية Tamsih , Tamsah تمساح تمسح (اودو ٦٢٧ والدليل ٨٤٣ و برون ٧١٥) فاللفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعربية .
تتبن : جنس حيوانات من العضاء اللججيمات الألسنة (الشهابي ٢٣٠) توافقت فيها السريانية Tanino معجم اودو ٦٢٨ والدليل ٨٤٣ والعربية ، تنين (برون ٧١٦) والعربية (هونورا ٣١٤) .

حرف الثاء

ثعلب : الثعلب من حيوانات ذوات الثدي ورتبة اللواحم وفضيلة الكليات ، مشهور بالتحليل ، واللائظة توافقت فيها الآثورية Selabu , Šalabu (عن بروكلان في مختصر علم اللغة السامي Précis de linguistique sémitique) والسريانية : تملو Ta'lo والعربية .

ثور : جنس حيوانات من رتبة المجترات : توافقت في هذه الفينيقية Tor والسريانية Tawro والعربية Shòr والعربية : ثور ، والحبشية Toré كما توافقت اللاتينية Taurus واليونانية Tauro والغولية Taro (هونورا ١٤٦) والثورة : البقرة ، وكذلك بالسريانية Tawrto ثورثو .

(١) ومثله مقال فيه صاحب المصباح المير ٨٨٣ « التمساح من دواب البحر يشبه الورك في الخلق ، لكن يكون طوله نحو خمس أذرع وقل من ذلك ، ويختطف الانسان والبقرة ويفوس به في الماء فيأكله » .

حرف الجيم

اضافة الى الجالوث والجوالي . قال ابو اسحق الصابي (المختار من رسائله ص ٩٩ و ١١١ و ٢١٤) « والى اعمال الجوالي بان يستخرجوا في المحرم ٠٠٠ »
ويجتنبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات .

جبار : قال هونورا ص ١٢٩ هي بالآثورية Gabaru , Kabbaru

وبالعبرية Gabar وبالسربانية Gaboro . توافقت فيها اللغات الثلاث .

اضافة الى جبر (رجل) لفظة سامية (هونورا ١١٤) .

اضافة الى جداد ص ٣٤١ سطر ٢١ : قال البستاني في محيط المحيط ٢١٩
و ٢٢١ « جد الشيء قطعه ، وأصل المعنى في هذه المادة في اللغات السامية القطع .
والجداد : خلقان الثياب . وكل متعقد بعنه ببعض من خيط أو غصن ٠٠٠
معرّب كذاد بالعارسية » .

وقال ابو علي اسمعيل بن القاسم القالي في كتاب « البارع » في اللغة الذي
نشره ٠١ س 'فلتن Fulton في لندن عام ١٩٣٣ ص ١١١ « والجداد الخيوط
المعقدة وهي مربة يقال لها بالنبطية كداد وقال الأعشى :

« والليل غامر جدادها » أراد الخيوط سترها بسواده ١٠ هـ

يضاف الى جدف : انها سربانية وتوافقها العبرية (هونورا ٣٦٢) .

جيرجيس : قال المطران ادى ص ٣٩ : « الجرجس الشمع والطين الذي
يختم به والصحيفة تعريب جرجشت والفارسي مأخوذ من السربياني Gargeshto ،
والقرقس لغة فيه ، راجع كتاب فرنكل ص ٢٥٢ » .

جيرث : قال البستاني في محيط المحيط ص ٢٣٠ « الجرث (كذا بالثناء
المثناة) ضرب من السمك ، ومنه قول الامام محمد « جميع السمك حلال غير
الجرث » والجرثي سمك طويل قال المطران ادى ص ٣٤ انها من أصل آرامي

Geriotho - (كيريوثو) . وفي مجمع الأمير الشهابي ص ٥٨٠ الجيرثي
هو السمك المسمى Silurus glanis ، قال وهو بكثرة في الفرات .
الجيزاف : « مثلثة الجيم والضم أفصح ، الحدس والتخمين في البيع والشراء
معرب كزاف بالفارسية ومعناه الأخذ بكثرة من غير تقدير » محيط المحيط ٢٤٩ .
يضاف الى جزير ص ٣٤٢ س ١٧ : قال ابو علي القالي في البارع : والجزير
بلغت أهل السواد الخ وقال الشاعر :

إذا رأونا قلدّصوا من مخافةٍ ويسعى علينا بالطعام جزيرُ
قلّدصوا يعني ضمّوا أيديهم دون التأييد وذلك من فعل العلوج لكبيرهم
كما بقول العبادي : دشت بكسر كرت ه .

يضاف الى الجص ص ٣٤٣ س ٢ : قال أبو علي في « البارع » ص ١١١
« الجص » وقال الكلابيون هذا الجص وكسروا الجيم ، وقال بعضهم ، الجص
ففتح الجيم ، وقال يعقوب يقال هو الجص والجص ، وقال الخليل بكسر
الجيم معروف وهو من كلام العجم ، ولغة أهل الحجاز في الجص الفص .
والجصاصات المواضع التي يعمل فيها الجص » وقال صاحب محيط المحيط ٢٥٦
« الجص » : الجبين معرب كجج بالفارسية او جبسس باليونانية .
جفنة : الجفن أصل الكرم او قضبانته ، والجفنة واحده . لفظه توافقت
فيها الآثورية Gapnu والسريانية Goufno والبرية Gephen والعريية .
(هونورا ١٢٩) .

جلا : لفظه سامية Gala (هونورا ١٩٤) .

جمّل : لفظه توافقت فيها الآثورية Gammalu والسريانية Gamlo
والكلدانية والعبرية Gamal والحبشية Gamal والعربية (هونورا ١٣٣) وقال
ولفنسون ص ٨ انها من اللغة السامية الأصلية .

إضافة الى جهنم : وفي كتاب المسائل والأجوبة في الحديث واللغة تأليف عبد الله ابن قتيبة المنوفى سنة ٨٨٩ م ص ١٣ « سألت عن جهنم هل وجدت له ذكراً في الشعر القديم . وهذا يحتاج الى تتبع وطلب ، وقد تذكرت فلم أذكر الا شيئاً وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت قال :

فلا تدنو جهنم من بريء وعَدْنُ لا يُطالعهما الأئيمُ
إذا شَبَّتْ جهنمُ ثم زادت فاعرض عن قوابسها الجحيمُ

وقرأت في الانجيل غير موضع « في جهنم ذات الوقود » .
قلنا ووردت جهنم في شعر أعشى قيس :

دعوت خليلي مسجلاً^(١) ودعواله جهنمًا جدعاً للهبين المذموم.

حرف الحاء

إضافة الى حاج : قال عمرو بن كلثوم :

تمشي ببعدين من لثومٍ ومنقصة مشي المقيّد في الينبوت والحاج

حاشا : الحاشا شجرة شوكية صغيرة عيدانها كقش القناديل (محيط المحيط

٣٢٨) وكتب ايننا صديقنا الأمير مصطفى الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية

بالفرنسية والعربية بقول : « الحاشا كلمة آرامية تدل عند العرب على أنواع من الصعتر

Thym لم ترد في الأمهات من المعجمات ، ولا في الجزء الخامس من كتاب

النبات لأبي حنيفة الدينوري ، ولكنها وردت في المفردات وفي شرح أسماء

العقار وفي التحفة وفي التذكرة » .

حانة : وقعت في كلام ابي اسحق الصابي ص ١٣٦ « وان يبطل الحانات » .

(١) محل اسم تابعة الأعتى قاله الجوهري .

حصن : الحصن القلعة قال المطران أدي ص ١٢٧ « أما الحصن فمعرب عن الآرامي Hesno حصنو ، نقلاً عن فرنكل ٢٣٥ - ٢٣٦ » ومالأه دو فال أيضاً على أصله السرياني ٣ : ١١٣ .

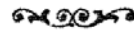
حلتيت : وفي محيط المحيط ٤٣٤ « والحلتيت صمغ الأنجدان ولا يقال حلتيت .

حمار : قال بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي ص ٩٣ « هي بالسريانية : Hmoro وبالآثورية Imeru , Imaru » وقال ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ص ٨ « وهي من اللغة السامية الأصلية » وفي س ٢٨٤ - ٢٩٣ هي بالسريانية : Hmoro وبالآثورية البابلية : إمرو ، وبالعبرية ، حَمور ، وفي جنوبي الجزيرة والحبشة ، حمار .

حَوَل : قوّة : وقعت في بعض رسائل الصابي ، قال ص ٤٣ « فالحمد لله ذي المنّة والطّول ، والقُدرة والحَوَل ، .

مار أغناطيوس افرام الأول برصوم

بطريك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس يتبع :



أبو حنيفة الدينوري

والجزء الخامس من كتاب النبات

تمهيد : إذا ألقيت نظرة على أسماء علماء العرب ، من صرحاء ومستعربة ، فأصبت فيهم رجلاً دقّ بين أدباء اليوم صيته ، بمقدار ما جِلَّ على لساننا الضادي فضله ، فذلك الرجل إنما هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري . لقد كاد هذا العلامة يكون مقموراً في أيامنا هذه ، فلا يعرفه إلا القليل من الأدباء ، على حين أن بعض مصنفاته ، وأخص منها كتاب النبات وكتاب الأنواء ، كانت من أوثق الكتب التي اعتمد عليها ونقل منها أصحاب معجاناتنا المشهورة ، وأصحاب كتب المفردات والزراعة ، كابن سيده في المخصص ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروزبادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس ، وابن البيطار في مفرداته ، وابن العوام في الفلاحة الأندلسية وغيرهم كثير .

وقد ذاع صيت هؤلاء المصنفين ، واستفاضت شهرة مصنفاتهم ، لأن كنوزهم الثمينة هذه لم تفقد ، والحمد لله ، بل عُثِرَ عليها وطُبِعَت وصارت في متناول أبدنا . أما كتب أبي حنيفة الدينوري فقد ضاعت ، وبالأأسف^(١) ، فكاد

(١) إلا كتاب الأخبار الطوال ، وإلا الجزء الخامس من كتاب النبات الذي نتكلم عليه . وكتاب الأخبار الطوال ، كتاب في التاريخ ، وهو الوحيد الذي عُثِرَ عليه كاملاً ، وطبع في ليدن سنة ١٨٨٨ م ، ولبت بلا مقدمة وبلا فهرس حتى سنة ١٩١٢ م ، وفيها وضع المستشرق أغناطيوس كراتشوفسكى فهرسه ، وصدرها بمقدمة ممتعة بالفرنسية ، وطبعها في ليدن لاحقاً للكتاب .

ينظمس بضياعها اسم هذا العالم الكبير ، وأمسى لا يُذكر الا عرضاً في الجمل
التي نقلها عنه أصحاب كتب اللغة وغيرهم من المؤلفين . وقد خَمَلَ ذكره
خمولاً عجيباً ، حتى ان ثلاثة من الأدباء قالوا لي انهم عندما يقرءون في أحد
معجاناتنا القديمة تفسيراً لكلمة نباتية ، معزواً الى أبي حنيفة ، فهم يتوهمون
أن هذا الاسم إنما هو اسم الإمام أبي حنيفة النعمان ، لا اسم أبي حنيفة
الدينوري فتأمل !

وفي أوائل سنة ١٩٤٩ م أوفدت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بعثة
الى إسطنبول ، تبحث في خزانات كتبها عن المخطوطات العربية المهمة ، وتُسخ
منها نسخاً بالتصوير الشمسي ، فعثر رئيسها الدكتور الأديب يوسف العشي ،
في خزانة جامعة إسطنبول ، على نسخة من الجزء الخامس من « كتاب النبات » ،
وهو أجل مصنفات أبي حنيفة ، فكان الفرح بهذه الثقبة عظيماً . وقد رغبتُ
الى الإدارة المشار اليها أن تبعث اليّ بصورة من هذه النسخة فحققت مشكورةً
تلك الرغبة . وبعد تلاوتها بإمعان كتبتُ فيها وفي أبي حنيفة هذا المقال الموجز .

مولد أبي حنيفة وحياته : هو أحمد بن داود بن وَنَسْدَ ، أبو حنيفة
الدينوري . وَنَسْدُ هذه كلمة إيرانية كانت اسماً لجدّه . ومعناها الكاسب
او الراج ، على ما ذكره بروكن في تأريخ آداب اللغة العربية . أما كراتشكوفسكي
فقد ذكر في مقدمة فهارس « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة ان وند اسم نجم
من النجوم ، أو اسم إله يمثل ذلك النجم ، وأنه ذُكر كثيراً في كتب
البرُسيين المقدسة . ويظهر ان الأشخاص كانوا يسمون به .

وأخيراً كتب العالم پور داود ، أستاذ اللغات القديمة في جامعة طهران ،
بناءً على طلبي ، تحقيقاً متمماً لمعنى هذه الكلمة ، ومما جاء فيه أنها كانت تدل
على نجم وعلى الإله المختص به ، وأنها وردت مراراً في « الأوستا » مع غيرها

من أسماء النجوم ، وأنها كانت تكتب فيها بالتاء أي « ونفت » ، وعندما نُقلت الأوستا الى البهلوية جُمِعت التاء فيها دالاً ، وأنها النسرة الواقع Vega عند بعض المحققين ، وقلب العقرب Antares عند آخرين ، وانها تطلق اسماً على الأفراد ككثير غيرها من أسماء النجوم ، وان معناها اللغوي القادر والغالب والظافر لا الكاسب ولا الراج الخ .

وقد رُسم هذا الاسم بالتاء المثناة غلطاً اي « وَاَتَنْد » في معجم الأدباء لياقوت « طبعة مرجليوث وطبعة مصر للدكتور فريد الرفاعي » . ولكنه جاء صحيحاً بالنون في بغية الوعاة للسيوطي ، وفي خزنة الأدب للبغدادي ، وفي بعض الكتب الحديثة ككتاب بروكسن الملمع اليه ومعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس .

وَدَيْنَوْرُ التي وُلد فيها ونُسب اليها بلدة ايرانية لبست ببعيدة عن حدود العراق ، وفي الموسوعة الاسلامية انها من العراق الفارسي . وقال ياقوت في معجم البلدان انها مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْمِينْسِين (كرمان شاه) ، وذكر أسماء بعض من نُسب اليها من الأدباء والعلماء .

ولم أجد في كتب التراجم ولا في كتب اللغة ذكراً للسنة التي ولد فيها أبو حنيفة . ويظن بروكسن في الموسوعة الاسلامية انه ولد في السنين العشر الأولى من المائة الثالثة الهجرية . وقال الأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام (ج ١ ص ٤٠٢) : « ولد بدينور : ولم يُعلم تاريخ ولادته ، وإن كان يُرجح انها في العشرين الأولى من القرن الثالث الهجري » . ولم يذكر العالم الأول الأسباب التي جعلته يظن هذا الظن ، وكذلك العالم الثاني فهو لم يذكر الأسباب التي حملته على هذا الترجيح . وسيظل تاريخ ولادته مجهولاً ما لم نعثر فيه على نص قديم موثوق به . وفقدان هذا النص حمل الزركلي صاحب قاموس الأعلام على جعل تاريخ ولادته مجهولاً .

وقد اختلفوا أيضاً في تاريخ وفاته . ولكن معظم الذين ترجعوا له في القديم والحديث يرجعون كونه توفي سنة ٢٨٢ هـ قال ياقوت في معجم الأدباء : « مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه . ووجدت في كتاب عتيق : مات احمد بن داود ابو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين . ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المُسَبِّح ، بكتاب النبات ، من تصنيف ابي حنيفة : توفي أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين . ووجدت في كتاب الوفيات لأبي عبد الله محمد بن سُفْيَانَ ابن هارون بن بنت جعفر بن محمد الفَرِّيايَ البغدادي : مات أبو حنيفة أحمد بن داود بن وَتَسَد (كذا بالثناء) صاحب كتاب النبات في سنة إحدى وثمانين ومائتين » .

وفي بغية الوعاة لم يجزم السيوطي أيضاً تاريخ وفاته فجعله في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ومائتين ، او اثنتين وثمانين ومائتين ، او سنة تسعين ومائتين . أما ابن الأثير في الكامل ، والقفطي في إنباه الرثاة على أنباه النحاة ، وأبو الفداء في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، والبغدادي في خزانة الأدب فجميعهم أرخوا وفاته في سنة ٢٨٢ هـ . وكذلك أرخ سر كيس في معجم المطبوعات والزركلي في قاموس « الأعلام » . وقال بروكبن في الموسوعة الاسلامية : ان الآراء لم تتفق على تاريخ وفاته ، وقال : لكن يظهر أن السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ اي الرابع والعشرين من تموز سنة ٨٩٥ م هو تاريخ الوفاة الذي تكاد تجمع الآراء على قبوله . وهذا الرأي هو أيضاً رأي كراتشوفسكي في المقدمة التي ألفت إليها ، ورأى معظم العلماء الأوربيين في القرن الماضي

وأوائل القرن الحاضر الذين جاءوا على ذكر أبي حنيفة ، مثل سلفستر دوساسي
Sylvestre de Sacy ولوكلرك Leclerc وغيرهما .

والظاهر أنه قضى شطراً كبيراً من حياته في مدينة دينور ، وأنه كان
يقوم فيها بأعمال الرصد ، فوق أعماله العلمية اللغوية المختلفة . وله مع معاصره
علامة الأدب واللغة أبي العباس المبرد صاحب الكامل قصة طريفة تدل على
علو كعبه في اللغة ، كما تدل على أنه كان في الدينور عندما زارها المبرد^(١) .
وذكر عبد الرحمن أبو الحسين الصوفي العالم الشهير بالفلك والمتوفى سنة ٣٧٦ هـ
أنه رأى في دينور البيت الذي لبث أبو حنيفة سنين طويلاً يرصد النجوم على سطحه^(٢) .
ويستدل بأقوال المؤرخين العرب ، وبالشواهد الكثيرة التي قرأتها في
الجزء الخامس من كتاب النبات ، على أنه رحل الى البصرة والكوفة حيث تتلمذ
على ابن السكيت وأبيه خاصة ، كما رحل الى أنحاء مختلفة من جزيرة العرب ،
حيث كان ينقل أسماء النبات عمن بثق بهم من الأعراب .

ومن الغريب ان كتب التراجم وكتب اللغة وكتب الأدب القديمة لا تذكر
عن حياته الا الأقل الذي لا يشفي غليلاً ، على حين أن أصحاب هذه الكتب
لا ينكرون فضله الكبير على اللغة . وضياح معظم كتبه أقدنا ماربما كان
فيها من معلومات في هذه الناحية ، ولذلك لبثنا الى الآن جاهلين لأسرته
وحدائثه وتعلمه ومشايخه ، ورحلاته الى البلاد العربية ، واتصاله بأعراب القبائل
للمدرسة أو للتأليف ، وكيف كانت مجالسه ومناظراته ، وما هي صلته بأدباء
عصره وبالسلطان ، ومن أين كان يرتزق ، ومن هم تلاميذه الخ .

(١) انظر خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٦ من الطبعة القديمة وج ١ ص ٦١

من طبعة المكتبة السلفية .

(٢) عن كراتشوفسكي في مقدمة « فهارس الأخبار الطوال » ص ٢١ و ٤٧ .

أقوال الأدياء فيه : لاشك أن أبا حنيفة كان من أئمة علماء عصره ، وأوسعهم ثقافة ، وأرسخهم قدماً في لغة العرب وآدابها ، وأكثرهم اطلاعاً على علوم تلك الأيام . فقد جعله ياقوت في معجم الأدياء : « نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راوية ثقة فيما يرويه ويحكاه » . ومن قبله قال ابن النديم في الفهرست : « كان مفتقراً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، ثقة فيما يرويه ومعروفاً بالصدق » . وكرر الأنباري والقفطي والبغدادي مثل هذا القول ؛ وكذلك السيوطي في بُغية الوعاة ، وأضاف انه ورع زاهد . وبلاحظ ان جميع القدماء الذين أتوا على ذكره في مصنفاتهم جعلوه ثقةً فيما يرويه أو يئليه . وذكره بعضهم بالصدق والورع والزهد وجلالة القدر ؛ وهي أدلة على بعض أخلاقه .

وفي ترجمة أبي حنيفة في معجم الأدياء كلام نقله ياقوت عن كتاب «تقريظ الجاحظ» لابي حيان التوحيدي ، يستدل منه على أن أبا حنيفة كان في نظر أبي حيان أحد ثلاثة « لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم ، في أخلاقهم وعلومهم ومصنفاتهم ورسائلهم ، مدى الدنيا ، الى ان يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر آخر ما يستحقه كل واحد منهم » ؛ وهؤلاء الثلاثة هم الجاحظ وأبو حنيفة الدينوري وأبو زيد احمد بن سهل البكدي . ويقول أبو حيان في أبي حنيفة : « انه من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورؤاء وحكم ؛ وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلام أبندى بدوي ، وعلى طباع أفصح عربي » .

وذكر ياقوت أيضاً نقلاً عن كتاب «تقريظ الجاحظ» الملمع اليه ان بعض الأصحاب اختلفوا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ،

فحكّموا أحدهم فقال : « أبو حنيفة أكثر ندارة ، وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعاني أبي عثمان لا تطفئ بالنفس ، سهلة في السَّمْع ، ولنظ أبي حنيفة أعذب وأعرب وأدخل في أساليب العرب » .

ومن المستشرقين الذين أطروا أبو حنيفة كثيراً المستشرق الروسي المشهور كراتشكوفسكي^(١) فقد قال مامعناه ان آثار الجاحظ التي عُثِرَ عليها تدل على علو كعبه في الأدب ، وعلى صحة رأي أبي حيان فيه وتحمسه له ، كما أنها تدل أيضاً على وجود اختلاف بين الجاحظ وأبي حنيفة في خصائصها العلمية ، وكذلك بين أبي حنيفة وأساتيده الأجلاء كابن السكيت وأبيه . فبينما اقتصر هؤلاء على المواضيع اللغوية اتسعت آفاق أبي حنيفة حتى شملت جميع فروع العلوم في أيامه . وإذا كان أبو حنيفة قريع الجاحظ في عمق التفكير وسعة المعرفة ، فقد فاقه في دقة تصنيف العلوم ، وفي الابتعاد عن خلط بعض البحوث العلمية ببعض في كتاب واحد ، فجعل لكل موضوع علمي كتاباً ، على ما يتضح لنا من أسماء تصانيفه . ومن العجيب انه على الرغم من خوضه في علوم مختلفة فقد كان مالكاً لزمم مواضيعها ؛ فلا يكتبني بالرواية أو النقل ، بل يأتي بالآراء الشخصية الطريفة ، خلافاً لكثير من الأدباء المعاصرين له ، وللعظم الذين جاءوا بعد عصره . ومع ان اللغة كانت الغرض الأساسي الذي حدها على تأليف كتاب النبات ، شأنه في ذلك شأن أساتيده ومعاصريه ، فقد جاء هذا الكتاب فذاً في موضوعاته ، حتى انه فاق كثيراً كتب النبات اليونانية . وموجز القول في أبي حنيفة انه كان : « عالماً موسوعياً بكل ما في هذه الكلمة من معاني » ، وانه حلق فوق أقرانه من علماء العلوم المختلفة .

هذه بعض آراء كراتشكوفسكي في أبي حنيفة ، كتبها بالفرنسية استناداً على ما جاء في كتب التراجم العربية ، وعلى دراسته لكتاب الأخبار الطوال ، وعلى آراء

(١) فارس كتاب « الأخبار الطوال » انظر ص ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ من المقدمة .

بعض المستشرقين المتقدمين^(١) . وجميعهم لم يكن لديهم إلا نُتف من كتاب النبات ، مع الأسماء التي نقلها أصحاب المعجمات العربية عنه . وبعد العثور على الجزء الخامس من الكتاب المذكور وتلاوتي له ، أيقنت أن آراء كراتشكوفسكي فيه وفي صاحبه هي عين الصواب .

وفي الموسوعة الاسلامية مقال للمستشرق بروكلن ذكر فيه ان أبا حنيفة كان لغويًا مواليديًا عربيًا . وقال ان كتاب النبات له شأن كبير في تأريخ العلم . ثم وصف الكتاب وصفًا موجزاً بناءً على المعلومات التي أمكن استخراجها من المعجمات ، ولا سيما من المخصص ومن مفردات ابن البيطار .

مؤلفات أبي حنيفة : بلغت جملة مؤلفاته المعروفة أسماءها عشرين كتابًا ؛ وهي التي ثبتت صحة نسبتها اليه . وكلها تقريبًا مذكورة في الفهرست وفي معجم الأدباء . وبعضها في إنشائه الرثابة على أنبياء النشاعة ، وفي الجواهر المضية ، وفي نزهة الألباء ، وفي خزانة الأدب ، وفي كشف الظنون . وهناك اختلاف في تسمية بعضها وفي نسبته الى أبي حنيفة .

وأعظم هذه الكتب شأنًا كتاب النبات . وهو يشتمل على ستة أجزاء كبار ، على ما أصبح محققًا بعد العثور على جزئه الخامس . وكان أبو حنيفة يُعرف بصاحب كتاب النبات ، اي انه عندما كان يقال صاحب كتاب النبات فمعناه أبو حنيفة دون غيره . وكل كتب النبات التي صُنفت قبله (ككتاب الأصبغي وكتاب أبي زيد) صغيرة لا تقاس به . وهو نسيج وحده من حيث

(١) يظهر ان أم بحث في كتاب النبات كتبه سابربرغ Silberberg بالألمانية في مجلة للعلوم الآشورية وهي Zeitschrift für Assyriologie - XXIV, 1910, 265 - 225 وكذلك 88 - 39, 1911, XXV ولم أطلع على هذا البحث الذي أطراه كراتشكوفسكي . ولا شك انه جاء نتيجة لجهد كبير ، لأن جميع أجزاء الكتاب كانت يومئذ مفقودة .

احتواؤه على أسماء النبات وأسماء أجزائه وما يتصل به ، وعلى تحلية عدد من النباتات ، وعلى جملة كبيرة من الأشعار المتعلقة بالنبات ؛ وكل ذلك بأفصح لغة وأصحها . ولم يتصل بنا أنه ألف مثله من قبل ولا من بعد . وسنذكر فيما يلي من بحثنا هذا معلومات موجزة فيه ، مستقاة من الجزء الخامس الذي عُثر عليه في إسطنبول .

ومن مؤلفات أبي حنيفة كتاب الأنواء ، وهو في علم الفلك والألفاظ المتصلة به . ويعد أجل كتبه بعد كتاب النبات ، وقد أطراه أبو حيان التوحيدي بقوله في أبي حنيفة : « وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك » ، على ما سبق ذكره . ومدح البيروني هذا الكتاب ونقل عنه . أما ابن سيدة في المخصص فقد نقل عدداً كبيراً من ألفاظه . وهو من أوثق الكتب في الأسماء الفلكية . ومن المؤسف فقده .

ومن تصانيفه في هذا الباب كتاب القبلة والزوال وكتاب الكسوف ، ويقول القفطي في هذا الكتاب الأخير : « تملكته بخطه » . وله في الرياضيات كتاب البحث في حساب الهند ، وكتاب الجبر والمقابلة ، وكتاب نوادر الجبر .

وله في العلوم الدينية تفسير القرآن . قال أبو حيان : « ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ، ما رأيتُه ، وأنه ما سبق إلى ذلك النمط » . وله أيضاً كتاب الوصايا ، وكتاب حساب الدَّوَر ، وهما في التركات وحساب تقسيمها .

أما في اللغة فمصنفات أبي حنيفة كثيرة . ولقد كان معدوداً من أئمة اللغة العربية ، ومن أعرفها بالنحو وبالكلم الفصاح ، وبالأدب من شعر وأخبار . وكان في طبقة أدباء عصره المشهورين كابن قتيبة والمبرد والجاحظ وابن دريد وأشباهم . وله في هذه الموضوعات كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ما يلحن فيه

العامة ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب إصلاح المنطق ، وكتاب الجمع والتفريق ، وكتاب جواهر العلم ، لم يرد ذكره إلا في كشف الظنون ، وكتاب الرد على لغظة^(١) الأصفهاني .

وصنف في التاريخ كتاب الأخبار الطوال ، وهو الكتاب الوحيد من كتب أبي حنيفة ، الذي عثر عليه كاملاً ، وطُبع في لندن سنة ١٨٨٨ م . وعبارته سلسلة فصيحة من أروع الأدب الرفيع . وفيه معلومات قيمة ، ولا سيما أخبار الاسكندر والساسانيين وحوادث صفين والخوارج .

وذكر ابن النديم وياقوت والقفطي والبغدادي له كتاباً اسمه كتاب البلدان ، قالوا انه كبير . ولا ادري أهو كتاب تأريخ أم كتاب جغرافيا وأدب على غرار كتاب ياقوت .

وأغرب كتاب له هو كتاب الباء ، هكذا جاء اسمه في بغية الوعاة ، وفي نزهة الألباء ، وفي معجم الأدياء . ولم يرد له ذكر في الفهرست ، ولا في إنساب الرواة . وسماه البغدادي كتاب الباءة . ومن الغريب أن يؤلف في موضوع الباء رجل كأبي حنيفة قال فيه أبو حيان : « ٠٠٠ هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره » . فاذا صححت هذه التسمية يكون الطب هو موضوع الكتاب ، على ما جاء في كشف الظنون .

نسخة الجزء الخامس من كتاب النبات : قلت ان هذه النسخة

المخطوطة قد عثر عليها في خزانة جامعة إسطنبول ، ويسمونها اليوم (إسطنبول أونيفرسيتي) . وهي فيها مرقمة برقم ٤٧١٦ ؛ وتشتمل على ٢٣٧ صحيفة أي ورقة . وفي كل صفحة من صفحتي الورقة ١٥ سطراً . ومعدل ما في كل سطر نحو

(١) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصفهاني المعروف بلكنة ولغظة . ذكر ياقوت في ترجمته انه كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، وانه كان بينهما مناقشات . « من تحقيق كراتنقوفسكي ص ٣٢ و ٣٣ من المقدمة للمع إليها » .

ثماني كيات . وطول الصفحة ٢٤ سنتيمتراً وعرضها ١٦٦٥ سنتيمتر . أما الصورة التي صورتها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فساحة صفحاتها أصغر ، فهي قد جاءت في طول ١٥٩٣ سنتيمتر وعرض ١١ سنتيمتراً ، أي أن طول كل ورقة ١٥٩٣ سنتيمترًا وعرضها ٢٢ سنتيمتراً .

وصفحات النسخة الأصلية غير مرقمة . وقد رُقِّمت الادارة الثقافية أوراق نسختها المصورة بملفت ٢٣٧ ورقة كما قلت ، وكل من أولها وأخراها في صفحة واحدة ، فيكون المجموع ٤٧٢ صفحة . وأرقام الأوراق أي الصفائف السبع والثلاثين والمائتين هذه هي التي أشرت إليها مراراً في عرض كلامي التالي بقولي ص كذا .

والجزء الخامس الذي نتكلم عليه مؤلف من قسمين قسم عنوانه « ومن أنحاء صنعة القسبي » وهو في ٧٢ ورقة ؛ وقسم في أسماء أعيان النبات ، مرتبة على حروف المعجم من المهمزة أي الألف حتى الزاي (ص ٧٣ - ٢٣٧) . وفي الورقة الأولى المؤلفة من صفحة واحدة جاء عنون الجزء كما يلي : « الجزء الخامس من كتاب النبات تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله . من قوله ومن أنحاء صنعة القسبي الى آخر حرف الزاي » .

وعلى هذه الصفحة جعل كتبها الذين تملكوا المخطوطة منها : « من كذب خليل بن أبيك الصفدي » ، وهو العلامة المشهور .

وفي ص ٢٣٧ وهي الأخيرة : « تم حرف الزاي ، وبه تم الجزء الخامس ، وبتلوه في السادس ، ان شاء الله ، حرف السين . والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وصلى الله على رسوله المصطفى وآله وسلم . فرغ من كتبه عبد الله بن سالم ابن الخضر بن محمد المارديني غفر له ، وذلك سنة خمس وأربعين وستمئة هجرية في ربيعها الآخر حامداً ومصلياً » .

وقد نقل الناصخ المذكور هذه النسخة عن نسخة كانت للقاضي أبي سعيد السيرافي مكتوبة بخطه . والواضح ان السيرافي جعل نسخته على أجزاء يزيد عددها على عدد أجزاء كتاب النبات الستة . فالجزء الخامس هذا من الكتاب جاء في نسخة السيرافي على جزءين جزء سابع وجزء ثامن . والأول منها يشتمل على بحث القُسي (ص ١ - ٧٢) ، والثاني على أسماء أعيان النبات من الألف حتى الزاي (ص ٧٣ - ٢٣٧) . ولذلك تنتهي الورقة ٧٢ بقول الناصخ : « هذا آخر الجزء السابع من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله . . . » .

ثم في أول الورقة ٧٤ يقول :

« الجزء الثامن من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ومن خطه نُقِلَتْ » .
والخط في هذه النسخة حسن واضح . والكلمات فيها مشكولة بالشكل الكامل . ثم ان النسخة نفسها قد سلمت من عوادي الأيام ، فلبثت صحائفها محتفظة بروائها ، الا الصحيفة ٢١٤ فقد نُوتت بشيء أشبه ما يكون بالحبر ، فانطمست بعض ألفاظها . ولم أحص أسماء القسم الأول من الجزء ، وهي الأسماء المتعلقة بالقسي والسهم والقداح وما إليها . أما القسم الثاني المحتوي على أسماء أعيان النبات ، وأسماء بعض أجزاءه ، فقد أحصيت فيه ٤٦٨ اسمًا أولها الأراك وآخرها الزبير وهو من أسماء الكتان .

وصنف أبو حنيفة أعيان النبات ، في القسم الثاني هذا ، على حروف أوائل أسمائها ، لا على حروف أواخرها ؛ ودلل على رجحان هذه الطريقة ، ولكنه لم يراع في التصنيف الا الحرف الأول من كل كلمة . ففي باب ما أول حروفه ألف ، ترى كلمة أراك مثلاً ، وقد أتت قبل كلمة أتروج ؛ وترى كلمة أفحوران قبل كلمة أسل . وفي باب ما أول حروفه الباء جعل البطيخ قبل البصل وهكذا .

وعناوين البحوث التي جاءت في القسم الأول من الجزء الخامس هي : ص ٢

«ومن أنحاء صنعة القسي» ، ص ٩ « وضرب آخر من نعوت القسي في حال الرمي عليها» ، ص ١١ وما تحلّس به القوس» ، ص ٣٠ «ومن صفات النّسبيل» ، ص ٣٦ «ومما في القيدح من أسماء طوائفه» ، ص ٣٩ «ومما يجعل على القيدح» ، ص ٤٣ «ومن أسماء السهام» .

وسرّد أسماء الأعيان من النبات وتحليلتها ، من الألف حتى آخر الزاي ، قد ملأ ١٦٤ ورقة من مجموع الجزء الخامس وهو ٢٣٧ ورقة . وعلى هذا ترجح عندي ان الجزء السادس المفقود يحوي على جميع بقية الأسماء من السين الى الياء . ولذلك بت أعتقد ان كتاب النبات ينتهي بانتهاء الجزء السادس ، اي ان الكتاب مؤلف من الأجزاء الستة الكبار التي ألمع اليها البغدادي في خزانه الأدب . ومن الأدلة على ذلك قول أبي حنيفة في آخر باب القسي والسهام (ص ٧٢) : «وقد أتينا ، فيما قدمنا من أبواب كتابنا هذا ، على ما استحسنا تقديم ذكره ، قبل ذكر النبات . نبتاً نبتاً ، فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات . ونحن آخذون في تسميتها ، ومحلوكل واحد منها بما انتهى اليها من صفته أو شاهدناه . وإن كان في شيء من ذلك اختلاف ، مما ينبغي أن يذكر ، ذكرناه ان شاء الله» .

ما هي أبواب كتاب النبات ؟ لقد دلنا الجزء الخامس من الكتاب على مشتملات جزئه السادس والأخير ، وهي كما قلت أسماء أعيان النبات من السين الى الياء . أما مشتملات الأجزاء الأربعة الأولى فما برحت غير معروفة على الضبط . ولا نعرف أيضاً محتوى كل جزء منها على حدة . وقد حاولت أن أستخرج من تضاعيف الجزء الخامس ما أمكنني العثور عليه من أسماء أبواب تلك الأجزاء الأربعة ، فحصل عندي منها أربعة عشر باباً ؛ ذلك بأن أبا حنيفة ، عندما يذكر بعض النباتات في الجزء الخامس ، يقول انه وصفها أو فسرها أو أمعن في شرحها في باب كذا وكذا من الأبواب السابقة . وكل هذه الأبواب

جاءت في الأجزاء الأربعة الأولى . فعندما يذكر الحنطة مثلاً يقول (ص ١٧٣) :
 « وقد وصفناها وصفاً بليغاً في باب الزرع » . وعندما يتكلم على لفظة البقل
 في ص ١٢٤ يقول : « وقد فسرنا ذلك في باب تجنيس النبات ^(١) » وهكذا .
 والأبواب الأربعة عشر التي عثرتُ عليها هي : باب النخل ، وباب الكرّم ،
 وباب الزرع « وفيه بحث القطاني » ، وباب الأصباغ أو باب ما يُصبغ به من
 النبات أو باب ما يُختضب به ويُصبغ من النبات ، وباب تجنيس النبات ،
 وباب وصف النبات العام له ، وباب العشب العام له « ولعلها باب واحد » ،
 وباب النبات الطيب الريح « وقال مرةً الرائحة بدلاً من الريح » ، وباب
 اللثا والصمّوغ ، وباب الكمأة ، وباب جماعة الشجر « او جماعات الشجر » ،
 وباب أوصاف الشجر العامة ، وباب الزناد والنيران والأدخنة ، وباب النبات
 الذي يُتخذ منه الحبال والأرشية .

وقد نقل ابن سيده الى المخصص عدداً كبيراً من الأسماء الواردة في هذه
 الأبواب ، وعزاها الى ابي حنيفة .

ولا شك ان في أضعاف الأجزاء الأربعة المفقودة أبواباً أخرى لم يرد ذكرها
 عرضاً في الجزء الخامس . ففي باب الحجر من المخصص مثلاً ، وهو باب طويل
 (المخصص ج ١١ ص ٧٢ - ١٠١) كلام كثير منقول عن ابي حنيفة . ولا بد
 ان يكون ابن سيده قد نقله من أحد الأجزاء الأربعة لكتاب النبات .
 وكذلك قل في مواضيع المخصص المتعلقة بأشكال الأراضي وبالمياه والوديان
 والمفارس والمزروعات والحرائة والمراعي والخصب والجذب والكلأ والأنهار والعيون
 والقنبي وغيرها مما امتلأت بأسمائها صفحات المخصص ولا سيما في جزئه التاسع

(١) يُفهم من تجنيس النبات تصنيفه على حسب قَدَمِهِ ، أو على حسب استعماله
 أو غير ذلك ، كأن يكون النبات بقلاً أو جنبة أو شجراً ، أو ان يكون من
 الحمض أو الحُذْمَةِ ، أو من الأحرار أو الذكور الخ .

والعاشر والحادي عشر . فثبات من تلك الأسماء التي عزاها ابن سيده إلى أبي حنيفة إنما هي مقتبسة من أبواب الأجزاء الأربعة من كتاب النبات ، لأنه ليس لأبي حنيفة ، على ما نعلم ، كتاب غيره في هذه الموضوعات . وعزائونا عن ضياع معظم أجزاء كتاب النبات كون أصحاب التخصص واللسان والقاموس والتاج قد نقلوا كثيراً من محتوياتها إلى معجماتهم ؛ ولكن هيات أن يكونوا قد نقلوا جميع صفات بعض النباتات ، وجميع الأبيات الشعرية المنصلة بها . فرب نبات ملأ الكلام عليه صفحتين أو أكثر من الجزء الخامس لم يذكر في المعجمات في أكثر من سطر أو بضعة أسطر . ثم هناك الرواة الذين روى أبو حنيفة عنهم ، وعلماء اللغة الذين نقل عن كتبهم ، والأدباء والشعراء والرجاز الذين استشهد بأشعارهم ، فمعظمهم يظنون مجهولين عندما يكتب أصحاب المعجمات بقولهم « قال أبو حنيفة » .

لغة كتاب النبات : رأيتُ أبا حنيفة يسيّر الفصح من الضعيف ،

والعربي من المغرب ، والنبات الذي منابته بلاد العرب من النبات الذي منابته البلاد الأجنبية . في مادة الأترنج مثلاً (ص ١٠٤) يقول : والنشْرُنْجُ لغة في الأترج رديئة . وفي مادة أرز (ص ١٠٨) يقول : « أرز ، ويقال بالفصح ، والأصمعي ياباه ؛ ورُنْزُ لغة رديئة » . ثم في مادة رُنْز هذه (ص ٢٢٩) يكرر قوله : « رُنْزُ لغة في الأَرْمَز » . ويقولون في الأترنج تُرُنْج . وكل هذا قبيح مرغوب عنه . وفي مادة رَيْهَقان (ص ٢٢٧) قال : « زعم بعض الرواة أن الزُّعْفَران يقال له الرَيْهَقان ولم أجده معروفاً » .

وجعل الخَلْسَنج والبطيخ والباذنجان والجوز والجزر والجلل والبهرامج والبنديق والكرْكَمْ وغيرها من أصول فارسية ، ولكنها جرت في كلام العرب .

وعندما ذكر الحَبَّاقَا في ص ١٦٨ قال : « لغة حَيْسْرِيَّة ؛ وهو الحَسْنَدَ قُوقَسِ ، وهذه نَبَطِيَّة ، وهي في العربية الذَّرَقِ » .

وفي كلامه على الزعفران ص ٢٣١ قال : « الزعفران معروف ، لا أعرفه ينبت بشيء من أرض العرب . وقد كثر مجيئه في كلامهم وأشعارهم . قال ابو النجم . . . وقال آخر . . . ومن أسماء الكُرِّ كُم وهو فارسي ، وقد جرى في كلامهم . . . وهو الجادري والجَسَاد والجَسَد » .

وقال في البَقَم (١) ص ١١٣ : « البَقَم شجر عِظَامٌ أحمر يُصْبَغُ بطيخه ، وليس في شجر بلاد العرب ، وإن كان قد كثر مجيئه في أشعارهم ، ولكنه من نبات أرض الهند وأرض الزنج . وقد وصفناه في باب ما يُصْبَغُ به من النبات . . . » .

ولم ينس ذكر اختلاف النطق ، او الاختلاف في التذكير والتأنيث لدى مختلف القبائل ، فقال في التَّمْر مثلاً ص ١٢٨ : « وأهل الحجاز يؤنثون التَّمْرَ وأشباهه ، فيقولون هذه التمر . وأهل نجد وتميم يدكرونها ، وكذلك البُسْر والشعير والنَّخْل ونحوه » .

وإذا لم يسمع بتحلية نبات أقر بذلك . ففي مادة الجُنْدَاة ص ١٥٢ يقول : « ولم أسمع لها بتحلية » .

هذه بعض الأمثلة . ويطول بنا نفس الكلام إذا ما رحنا نتتبع أقواله المفيدة في هذه الأمور . وقد بدت لي ملاحظات على كلمات في صلب اللغة . فراجع كلمة جليبان مثلاً في اللسان والقاموس والتاج والمخصص فانك لا تراها مرسومة الا على شكل

(١) اسمه الفرنسي Campêche واسمه العلمي Hæmatoxylon Campechianum

وهو شجر من القرنيات الفراشية . وهو غير البَقَم بياض موحدة مضمومة . وهذا هو جَوْز مائل أي Datura metel من الباذنجانيات (عن معجم الألفاظ الزراعية من تألفي) .

جُدْبَانٌ وجُلْبَانٌ . والمشدّد في الأولى هي الباء . على حين ان ابا حنيفة ذكر في مادة الحَرْفَسَى ص ١٩٧ ان الحرف المشدد هو اللام لا الباء ، خلافاً لما رسموه . قال : « الحَرْفَسَى معرب وأصله فارسي ، من القَطَانِي » وهو الحب الذي يُسمى الجُدْبَان ، اللام مُشَدَّدَةٌ وربما خُفِّفَتْ ، ولم أسمعها من الفصحاء الا مُشَدَّدَةٌ . واسمه بالفارسية الحُدُّر والحَرْفَسَى » . ولم يصرح أبو حنيفة في مادة جلبان نفسها بجرها المشدد . بل اكتفى بقوله : « ولم أسمعها الا بالتشديد ، وما أكثر من يخففه ، ولعل التخفيف لغة » . وربما كان تشديد الباء لغة ذكرها غير أبي حنيفة من القدماء وهو ما أجهله ، ولكن مما لا ريب فيه ان الحرف المشدد عند ابي حنيفة هو اللام لا الباء ، على ما جاء صريحاً في مادة حَرْفَسَى . وصرح الزبيدي ، في كلامه على المادة المذكورة في التاج ، بأن الحرفي الجلبان بتشديد اللام ؛ ومع هذا لم يشدد الا الباء في شرحه لمادة جلبان نفسها . وراجع في اللسان كلمة أفتحوان (مادة قححا) تجد ابن منظور يقول : « ٠٠٠ . وقد حكى قُحْرَانٌ » ، ولم يُرَ الا في شعر ، ولعله على الضرورة » . أما أبو حنيفة فلم يقصر صحة القُحْرَانِ على الشعر أو على الضرورة بل قال ص ٩٦ : « وقال الفراء اذا ألقوا الألف واللام قالوا الأَقْحِرَانُ والقُحْرَانُ وأنشد :
خَضِرًا بُشْبَبَهُ بَرْدُهُ وَبِيَاضُهُ بِالثَّلْجِ أَوْ بِنَابِتِ القُحْرَانِ » .
وواضح أن البيت للاستشهاد لا لقصر استعمال القحوان على الشعر . ونحن في الشام ، ولا سيما في لبنان وجبل الشيخ ، ما برحنا الى اليوم نتعمل كلمة القحوان ونطلقها على نوع من البهار اسمه العلمي Anthemis cotula ^(١) .

(١) كانت العرب تطلق الأفتحوان على أنواع نباتية من جنس البهار Anthemis منها البابونج A. nobilis ، وعلى انواع من جنس Chrysanthemum وهو الجنس الذي له انواع وأصناف كثيرة تزرع لزهرها وتسمى الأراولة في مصر وزهرة الغريب في دمشق . وقد اطلقت في معجمي اسم الاقحوان على هذا الجنس تعميماً فسرى ، وصارت الجمعية الملكية الزراعية في مصر مثلاً تسمي معرض هذه الأزهار « معرض الأفاحي » .

وبتضح من ذلك ان هنالك مجالاً واسعاً للبحث عن صحة كثير من الألفاظ التي وردت على شكل ما في الجزء الخامس من كتاب النبات ثم وردت في الأمهات من المعجمات على شكل آخر . ومن المعلوم ان كتاب النبات هو المرجع والحجة في ألفاظه . ولم يطمعن أحد في صحة تلك الألفاظ ، الا علي بن حمزة البصري ، فان له كتاباً اسمه التنبهات على أغلاط الرواة « أو أغاليط الرواة » ، قال البغدادي في ص ٣٦ من الطبعة السلفية ، انه ذكر فيه أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وأغلاط الغريب المصنف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجهرة لابن دريد ، وأغلاط الحجاز لابي عبيد ، وأغلاط الفصيح لثعلب ، وأغلاط الكامل للمبرد وغير ذلك . قلت بلوح لي ان كتاباً يتناول بالنقد ألفاظاً لجميع هؤلاء الأئمة ، لا يصيب كتاب النبات منه الا رشاش ضئيل ، وسيظل كتاب النبات أهم مصدر للأسماء النباتية الصحيحة .

تحلية النبات وذكر الأصناف الزراعية : ليس كتاب النبات في

الحقيقة كتاباً في علم النبات ، ولا في زراعة النبات ، بل هو سفر في لغة هذا الفرع من المواليد ، أي في أسماء أعيان النبات ، وفي الألفاظ التي لها صلة بالنبات ، مع تحقيق صحة الصحيح منها ، والاستشهاد على صحته بما كتبه أئمة اللغة وغول الشعراء قبل أبي حنيفة ، وبما سمعه أبو حنيفة من أفواه الموثوق بكلامهم من معاصريه ، ولا سيما الأعراب . فاللغة إذن هي الأساس في هذا الكتاب ، ولكن ليست جميع النباتات مشهورة ، ولذلك رأينا أبا حنيفة يحلي بعضها تحلية حسنة . ورأيناه يذكر أصناف بعض النباتات الزراعية ويحليها أيضاً . ومن الطبيعي القول بأن هذه التحلية بسيطة لا تتجاوز بعض الصفات الخارجية للنبات . ومع هذا فهي ليست بالشيء القليل ، ولا سيما في تلك الأيام البعيدة . فهو يصف

الرقم مئلاً بما يلي ص ٢٢٩ : « رُقَعُ الواحدة رُقَعَةٌ . أخبرني أعرابي من أهل السُّرَاة قال : الرقعة شجرة عظيمة كالجوزة ، ساقها كساق الدُّنْبِ ، ولها ورق كورق القَرَعِ ، أخضر فيه صهبة يسيرة ، ولها ثمر أمثال التين العظام ، كأنه صغار الرُّمَّانِ ، لا يثبت في أضعاف الورق كما يثبت التين ، ولكن من الخشب اليابس يَتَصَدَّقُ عنه ؛ وله معاليق وحمائل كثير جداً الخ . »

ويصف بعض أصناف العنب مما كان معروفاً في تلك الأيام فيقول مثلاً ص ١٠٨ : « أصابع العذارى : صنف من العنب أسود طوال كأنه البَلْشُوطُ ، يُشَبَّهُ بأصابع العذارى المخضبة ، وعنقوده نحو الذراع ، مُتَدَاخِسُ الحب ، وله زبيب جيد ، ومنايته السُّرَاة . وقد وصفناه في باب الكرم . »

والإفهامي صنف آخر من العنب حَلَاةٌ بقوله ص ١٠٨ : « إقشاعِيّ : وكذلك الأتاعي نوع من العنب عليه معوَل الناس ، وعنبه أبيض ، ثم يصفر أخيراً حتى يكون كالورس ، وجهه مدحرج كبارث ، وعناقيده مكنتزة ، ومؤه كثير ، ويُعْتَصَرُ وَيُزَبَّبُ أيضاً . وقد ذكرناه . »

ومما حلاه عدد من أصناف التين . وروى هذه التحلية عن رجل من أعراب السُّرَاة وهم ، على ما قال أبو حنيفة ، أهل تين . والأصناف المذكورة كالجِلْدَامِيّ والقِلَابِيّ والطُّبَارِ الخ . سردها ابن سيده في المخصص صنفاً صنفاً على الترتيب نفسه ، ولكنه أوجز في التحلية ، ولم يقل انه نقلها عن أبي حنيفة ، خلافاً لما لوف عاداته (المخصص ج ١١ ص ١٣٧ و ١٣٨) .

وبنضح من هذه الأمثلة ان أبا حنيفة بذل جهده في التعريف ببعض أنواع النبات وبعض الأصناف الزراعية التي كانت تزرع في أيامه ، وكل ذلك بلغة غاية في البلاغة . ولا شك أن الأعراب في ذلك الزمن كانوا دقيقي الملاحظة ، وصافين لما يحيط بهم من أحياء وحجادات . ولذلك جاءت تحليتهم لبعض النباتات سائفة حتى في عصرنا هذا .

الأدب في كتاب النبات : من المعروف أن أبيات القدامى من

الشعراء كانت تُعد من الحجج التي يُستشهد بها علماء اللغة على صحة لفظ من الألفاظ . وكتاب النبات آية في هذا الباب . فالأبيات الشعرية التي ورد ذكرها في الجزء الخامس كثيرة جداً . وإذا كانت قد وردت على هذه النسبة في بقية الأجزاء يكون في الإمكان أن يؤلّف منها ومن شرحها سفر عظيم في أدب النبات وما إليه . وجميع تلك الأبيات الشعرية من نظم شعراء الجاهلية وصدر الإسلام . وهاكم بعض الأمثلة على ورود الشعر في معرض الكلام على النبات :

ففي الكلام على الأَفْحُوَان ص ٩٥ يقول : « الأَقْحُوَان ، والواحدة أَفْحُوَانة ، والجميع الأَفْحُوَانِيُّ بالتشديد ، والأَفْحُوَانِيُّ بالتخفيف ، قال ذو الرُّمَّة في التشديد ، ووصف نساء :

تَبَسَّمْنَ عَنْ نَوْرِ الأَقْحُوَانِيِّ فِي الثَّرَى

وَفَتَّرْنَ مِنْ أَبْصَارِ مَضْرُوجَةٍ تُجَلِّ

وقال أيضاً في التخفيف :

تَبَسَّمَ لَسْمَعِ البَّرَقِ عَنْ مُتَوَضِّحِ

كَنُورِ الأَقْحُوَانِيِّ شَافَ أَلْوَانَهُ القَطْرُ

وقال ابن لآي : بين أَقْحِ وَخُرَامِي وَخَضِيرِ « .

ثم نقل بعد هذا كلام الفراء في القُحُوَان وهو ما سبق لي ذكره الخ . ولا يُظنُّ أنه اقتصر ، في ذكر الشواهد الشعرية ، على النباتات المعروفة التي لها زهر أو ثمر جميل . فثمة نباتات عديدة يبرية لا يخطر ببال أحد أنه يقال في مثلها شعر ، ومع هذا فهو قد روى للشعراء فيها أحياناً من الصعب العثور عليها في كتب الأدب القديمة المطبوعة ، أو البحث عنها هنا وهناك في ما لم يضع

من دواوين القدماء من شعرائنا . وربما كانت كتب اللغة والأدب المعروفة قد خلت من كثير من تلك الأبيات .

فالنبات المسمى البِلَسْكَاء مثلاً هو الذي نسميه بالعامية «دُبَيْقَة» ، ونصيجه الِصَيْقَى ، وهو مضر ينبت عرضاً في الحقول وحواليها ، واسمه العلمي Galium aparine من فصيلة الفُورِيَّات . وأشهر ما فيه ثماره ، فمن صفار كروية عليها أثيرات معقوفة . فاذا مست ثوب الانسان انفصلت عن النبات ولصقت بالثوب . فأبو حنيفة قال في البلسكاء ص ١٢٣ : «ذكر بعض الرواة أنه نبات يتعلق بالثوب فلا يكاد يفارقه وأنشد :

تُخَبِّرُنَا بِأَنَّكَ أَحْرَازِيٌّ وَأَنْتَ الْبِلَسْكَاءُ بِنَالِصُورِفا .

قلت من معاني الأحوزي السريع في السير وفي كل ما أخذ فيه وأصله في السَفَر . فالذين يعرفون البلسكاء في البساتين والحقول بدركون على الغور مقدار ما في هذا البيت من سخريه . وفي اللسان أن هذا البيت للعميشل . وفيه يُخَبِّرُنَا بدلاً من نخبرنا .

والبَرْدِيّ نبات مائي مشهور اسمه العلمي Gyperus papyrus وكان له شأن ولا سيما لدى المصريين الأقدمين . وهو نباتياً عشبة كالموز لا شجرة . ولكن ساقه الهشة العريانة تبلغ ثخن الذراع ، وتعلو مترين أو أكثر ، وفيها شحمة أي لب كانوا يأكلونه أو يصنعون منه فتائل للسُرْج والمشاغل . ويظهر ان شعراءنا القدماء كانوا يعجبون بسوق البَرْدِيّ ، وانهم كانوا يشبهون بها سيقان الحسان من النساء ، ولذلك بعد أن يصف ابو حنيفة البردي وصفاً حسناً (ص ١١٢ و ١١٣) يقول : ان ساق البردية هي كأحسن ما شُبهت به سوق النساء ، ثم يأتي على ذكر ستة أبيات من الشعر لسته شعراء ، وكلها في هذا المعنى . وأولها لابن ميادة وهو :

وساقان كالبَرْدِيَّتَيْنِ غَدَاهما

بيوادي القرى نهر تدب جدواؤه

وليست كل الشواهد الشعرية المتصلة بشتى النباتات مما يُدرج في باب الغزل .
ففي تضاعيف الكتاب أبيات يمكن إدراجها في جميع أبواب القريض . ولكن
الوصف هو السائد ، لأن في حياة القبائل في الجزيرة مجالاً لذكر النبات في
أغراض كثيرة وصفاً وتشبيهاً .

مراجع الكتاب : لم يأت أبو حنيفة الدينوري بكلمات من عنده ،

أي أنه لم يضع اسماً لنبات ولا جزء من نبات . ومعظم الأسماء والأفعال التي
أثبتها في كتابه ، سواء أكانت عربية أم معربة أم مشتقة ، قد عنزها إلى
من سبقوه من علماء اللغة ، أو إلى الذين وثق بكلامهم من الأعراب ، أو إلى
الشعراء الذين ذكروا تلكم الكلم في شعرهم ، وصحّ عنده الاستشهاد بها .
ولكنه في كل ذلك يبرز شخصيته القوية فيرجح الراجح ، ويقبّح القبيح ،
ويسقط المرذول من الكلام .

فهو يقول مثلاً : قال الأصمعي ، وقال أبو عبيدة ، وأخبرني أعرابي من
ربيعة أن من عنزة أو من بني أسد أو من أهل السراة أو من أعراب
عمان ، وقال بعض علماء الأعراب ، وسمعت بعض البمانية يقول وهم جرا .
وهاكم ثلاثة أمثلة :

الأول في الكلام على الجير جِير ص ١٤٠ قال : « ... وقال الفراء
تخفف جرجير فيقال جِير جِير . ويقال لها الكسأة . وسمعتها من الأعراب
غير مهموزة » .

والثاني في الكلام على الدجْر ص ٢١٠ : « الدجْر اللثوباء - وبعضهم
يقول الدجْر - والواحدة دَجْرَة . وزعم بعض الرواة أنه يقال له الثامر ،
ولم أر ذلك معروفاً . وقال أبو زياد هو اللثوباء ، وقال كذا تسكلم به العرب ... »
والثالث في الكلام على الرند ص ٢١٨ : « يذهب قوم إلى أنه الآس
وأنكر أبو عبيدة ذلك وقال ... » .

ويتضح من ذلك ان طريقته هذه لا تختلف عما كان متبعاً في ذلك الزمن ،
 ولا عما اتبعه أصحاب المعاجم من بعده وذكروا اسمه كثيراً في أسانيدهم .
 وعلماء اللغة الذين نقل أبو حنيفة عنهم كثير والعدد منهم الأصمعي وأبو عبيدة
 وابن الأعرابي وأبو زيد والكسائي والفرسّاء وأبو نصر واليزيدي واللحياني
 وأبو زياد الأعرابي وغيرهم . وقد أكثر النقل عن أبي زياد ، وذكر اسمه ونسبه
 عند ذكره لأول نبات من النباتات التي رتب اسماءها على حروف المعجم وهو
 الأراك (ص ٧٥) فقال : « ٠٠٠ قال أبو زياد الأعرابي يزيد بن عبد الله
 الكلابي أحد بني عبد الله بن كلاب بن رببيعة بن عامر بن صعصعة :
 الأراك من العِضاه ٠٠ الخ »

أما الشعراء والرفّاجز الذين استشهد بشعرهم فهم كثير ، منهم لبيد
 والأعشى وامرؤ القيس وعددي بن زيد وطرفة والناغية الديقاني والأخطل
 والراعي وجريز والفرزدق والمرفّس وذو الرمة وعترة وأوس بن حجر
 وعلقمة بن عبدة والطيرمّاح وأبو النجم والعجاج وحسان وكعب بن زهير
 وابن ميادة وأحينة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وعمرو بن كلثوم
 وكثير وابن هرمة والشماخ والجعددي والحطيمية والنسب بن تولى الخ .

الخلاصة : لقد عاش أبو حنيفة الدينوري ، رحمه الله وطيب ثراه ، في
 العصر الذي ضيّبت فيه اللغة العربية ، وازدهرت آدابها ، ونقلت اليها علوم
 الأقدمين ووسّعت وصيّت في ثقافة عربية كانت في تلك الأيام أشمل
 الثقافات وأوسعها في العالم كله . ولا شك أنه كان من أبرز العلماء الذين بنوا
 ذلك الصرح اللغوي والعلمي الشامخ الذي .

وهو لم يكن في علم النبات من طبقة ابن الصوري وابن البيطار مثلاً ،
 ولكنه كان متفوقاً عليهما وعلى غيرهما من المتقدمين والمتأخرين بمعرفة أسماء أعيان

النبات ، وأسماء أجزائها المختلفة ، وأسماء ماله صلة بها ، مع تمييز بين الفصيح والمولود ، والعربي والمعرَّب ؛ يضاف الى ذلك دقةً وأمانة في النقل عن سبقوه ، وفي الأخذ عن الأعراب ، سواء في تسمية النبات ام في تحليته .

والرجل الذي استطاع أن يصنف في مختلف علوم عصره ، بذلك البيان المشرق ، والذي أجمع أصحاب كتب التراجم على جعله صادقاً وثقة فيما يرويه ويحكيه ، خلّيق بالنعمة الذي نعت به صديقي الزركلي صاحب قاموس الأعلام مذ قال فيه انه نابغة من نوابغ الدهر .

ولقد كنتُ مزعمًا على تحقيق الجزء الخامس من كتاب النبات ونشره ، على أن أذكر الأسماء العلمية لمعظم ما حواه من أعيان النبات ، وان أذكر أيضاً بالفرنسية ترجمة عدد من أسماء أجزاء النبات ، وأن أشرح علمياً ما يحتاج الى شرح ؛ ولكنه اتصل بي ان لجنة التأليف والترجمة والنشر في القطر المصري الشقيق قد اتفقت هي والدكتور محمد حميد الله الهندي على تحقيقه ونشره ؛ ولذلك أجمتُ لكي لا يتكرر العمل دوغما فائدة .

وباليت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، التي يرجع اليها الفضل في العثور على هذا الجزء من الكتاب ، تفتش في كل مكان عن بقية أجزائه المفقودة ، فانه يتيسر لها من وسائل البحث والتنقيب ما لا يتيسر لكثير من الأفراد والجماعات .

مصطفى الشهابي



م (٤)

مصطلحات ابن خلدون

لا شك في أن ابن خلدون كان له فضل عظيم على أكابر الكتاب في أوائل هذا العصر ، فان الذين أجروا أقلامهم في موضوعات الاجتماع رجعوا اليه في الاستعانة بطائفة من ألفاظه وتراكيبه فهو الذي هداهم الى كلمات الحضارة والمدنية والكليات والضروريات وما شابه ذلك وهو الذي أرشدهم الى التراكيب الآتية :
التوسع في مذاهب الحضارة واستفحال العمران وما مثلها ، ولكن المهم ان نعرف هل اخترع ابن خلدون هذه المصطلحات التي دلت على المعاني الحديثة ام انه وجدها جارية على أقلام من تقدمه من الكتاب فاستعملها على وجوهها دون شيء من التحويل ؟

لقد مضت لابن خلدون في مقدمته عبارات دلت على الموضوعات التي عالجها وهي في رأيه علوم غريبة وحكم محجوبة قريبة ، ثم مضت له عبارات دلت على شعوره بابتكار علم العمران ، فانه يقول :

اعلم إن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة
أعثر عليه البحث وأدى اليه الفحص .

ويقول في موضوع آخر :

لعمرى ، لم اقف على الكلام في منخاه لأحد من الخليقة .

ويستمر في هذا النحو فيقول :

ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاماً ، وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره

وجبينه خبره .

أكتفي بهذا المقدار من الاستشهاد للدلالة على شعور ابن خلدون باختراعه

علم العمران ولست أرمي في هذا المقال الى الخوض في هذا الاختراع فقد خاض فيه كثير من رجال هذا العصر وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين والأستاذ عبدالله عنان والدكتور كامل عياد والدكتور صبحي الحمصاني وآخر من درس ابن خلدون دراسة مبنية على أصول علمية انما هو الأستاذ ساطع الحصري ، فالذين يهههم هذا الأمر يستطيعون ان يرجعوا الى كتابات هؤلاء الاساتذة فموضوعي غير موضوعهم ، وخاطري غير خاطرهم .

أحاول في مقالي هذا المختصر أن أصل الى النتيجة الآتية : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغربية والحكم المحجوبة القريبة أم سبقه اليها السابقون . انا نعلم ان العلوم المستحدثة والمذاهب الجديدة تستلزم الفاظاً وتراكيب حديثة وأقرب مثل منا انما هو الاسلام فقد جاء الله بالاسلام وجاءت بمجيئه الفاظ نقلت من مواضع الى مواضع في اللغة لا مجال الى ذكرها في هذا المقام فقد اشار اليها أئمة اللغة في كتبهم وفي جملتهم ابن فارس في كتابه الصاحبي ، وسميت هذه الألفاظ : الألفاظ الاسلامية وما جرى في هذا الباب جرى في غيره من الأبواب مثل النحو والتصريف والشعر والعروض وغير ذلك ، كانت هذه الأبواب كلها تسمى في القديم علوماً وضع لها اصحابها ألفاظاً دلت على موضوعات علومهم ، وثبتت هذه الألفاظ على وجوها حتى يومنا هذا فلم يعف زمننا الذي نعيش فيه على شيء من الألفاظ الاسلامية كالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق وأشباهها فقد احتفظت هذه المصطلحات بأصول معانيها لأن الاسلام لا يزال ثابت الأركان فلم تتحول ألفاظه من وجه الى وجه .

وما جرى على ثبات الألفاظ الاسلامية جرى على ثبات الفاظ بعض العلوم فلا تزال في التصريف والنحو نستعمل الفعل والاسم والحرف والاعراب والبناء وغير ذلك من المصطلحات لأن النحو لا يزال ثابت الأركان ، اختلفت آراء

اهل البصرة والكوفة وبغداد في بعض قواعده ولكن اركانها لم تتضع
ولهذا بقيت الفاظه ثابتة تدل على أصول معانيها .

وما نظن ان الأسماء تنقل في اللغة من مواضع الى مواضع ، أي تتحول
معانيها إلا اذا تحوّلت أصول هذه المعاني فالاسلام لا يزال اسلاماً والنحو
لا يزال نحواً ولهذا بقيت لغتها على حالها .

أجتزئ بهذا المبلغ من التمهيد وأمرع الى الخاطر الذي خطر ببالي : هل
اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغربية .
كيف خطر ببالي هذا الخاطر .

لما شرعت في دراسة أدبنا من خمس وثلاثين سنة كنت أدون في دفاتري
الخاصة طائفة من كلام رجاله ومن جملة هذا الكلام المدون عبارة لابن خلدون
وهذا نصها :

آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ومالا بذرله وآخر
أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الخبز والصدف
ولم يوجد لها الا قوة اللمس فقط واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه
وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكرة والروية وكان
ذلك اول أفق من الانسان .

وبسمر ابن خلدون في تدرج الانسان حتى يصل به الى أفق الملائكة . . .
هذه عبارة وجدتها مدونة في دفتري من أول نشأتي على الأدب ، حفظتها
على الأيام فلم تذهب عن ذهني ثم عادت اليّ في هذا الوقت فأحببت ان اعرف
هل اخترع ابن خلدون هذه الألفاظ والتراكيب ، وما كنت أفكر هذا
التفكير من خمس وثلاثين سنة لأن دراستنا الأدبية لم تفتح أذهاننا للتعق
في دراسة الألفاظ وتسلسلها على النحو الذي نجري عليه في هذا العصر .

ان عبارة ابن خلدون التي استشهدت بها تدل على مذهب في الفلسفة مشهور، أصحاب هذا المذهب «لامارك» و «داروان» و «سبنسر» كان الفلاسفة في القديم يعتبرون ان انواع الحيوان تخلق لمرة واحدة فلا تتغير خلقتها ولم يشذ عن هذا الاعتبار الا ابيقور والايقوريون فلما جاء الفلاسفة الذين أشرت اليهم نقضوا هذا الاعتبار وقالوا ان المادة استجالت في صدر الأمر الى النبات ثم الى الحيوان الأدنى ثم الى الحيوان الأعلى ثم الى الانسان وجدنا الأول انما هو السمك واذا ذهبنا الى أبعد من ذلك فوجدنا الأول النبات .

جالت هذه الفكرة في القرن الثامن عشر في ذهن الفيلسوف الفرنسي «لامارك» ثم وضحها «داروان» أكمل توضيح ثم عرضها «سبنسر» عرضاً جديداً واستخرج منها نتائج في الفلسفة العامة وقد سمي اصحاب هذه الفكرة مذهبيهم : التطور^(١) .

هذا هو المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون في عبارته ، فهل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه .

لم يسم ابن خلدون هذا المذهب «تطوراً» لأن لفظ التطور انما هو من مستحدثات هذا العصر ، ولكنه سماه اسماً آخر واذا رجعنا الى شرح هذا المذهب استطعنا ان نبتدي الى هذا الاسم ، فقد قال في خلال بسطه للمذهب : ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب ان يصير أول أفق الذي بعده . . .

فالمذهب الذي شرحه ابن خلدون سماه : الاتصال وهذا العصر يسميه التطور ، والاتصال والتطور في معناهما الفلسفي شيء واحد ، لأن أصل الأمر فيهما استخالة المادة الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان وقد اتفق ابن خلدون وفلاسفة التطور على هذا الأصل .

(١) «فاكه» في كتابه : المدخل على الفلسفة .

والآن نرجع الى السؤال الذي سألتناه : هل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه ؟

اني لا أعنى في هذا المقال بالشيء الأول من السؤال فان الذين يعينهم هذا الأمر يجدون سبيلاً الى التحقيق في الرجوع الى الفلاسفة الذين ظهروا قبل ابن خلدون ، ثم في الرجوع الى فلاسفة الاغريق ، فاذا فعلوا هذا وصلوا الى ما يريدون ، وانما أعنى بالشيء الثاني من السؤال : هل اخترع ابن خلدون الفاظ مذهب الاتصال او التطور ؟

لا نستطيع ان نجد الجواب عن الذي نسأل عنه الا اذا رجعنا الى الكتاب الذين تقدموا ابن خلدون وجالوا مجاله .

ذكرت كتب التاريخ ان ابن خلدون توفي سنة ٨٠٨ فلنرجع الى كاتب توفي سنة ٦٨٢ وهو القزويني صاحب : عجائب المخلوقات ، يقول في بعض كتابه : فان المعادن متصلة اولها وآخرها بالنبات ، والنبات متصل اوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل اوله بالنبات وآخره بالانسان ، والنفوس الانسانية منصلة اولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية .

نحن نرى من كلام القزويني ان المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون وهو مذهب الاتصال قد ذكره القزويني قبله بمخالفته ، وذكر ألفاظه ، فنستنتج من ذلك ان القزويني سبق ابن خلدون الى فكرة الاتصال وألفاظها .

واذا تركنا القزويني وانحدرنا الى ابن الطفيل وقد توفي سنة ٥٨١ وجدناه في كتابه : حي بن يقظان يشير الى مذهب «التطور» ولكننا نتخطاه لأن غابتنا الاهتمام الى الألفاظ التي استعملها ابن خلدون ، لا الى الفكرة التي وضحها . ثم اذا تركنا ابن الطفيل ورجعنا الى ابن مسكويه وقد توفي سنة ٤٢١ وجدناه في كتابه : تهذيب الأخلاق يشير الى مذهب الاتصال نفسه والى ألفاظه .

ذكر ابن مسكويه مراتب الجماد والنبات والحيوان وقد استعمل فيها لفظ الأفق فقال : فلذلك هي في أفق الجمادات ٠٠٠ ثم قال : ويصير في أفق الحيوان ٠٠٠ وكذلك استعمل الاتصال فقال في مراتب الأفق الانساني : وأول هذه المراتب من الأفق الانساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني مراتب الناس ٠٠٠٠٠

من كل ما تقدم نستنتج ان الفاظ مذهب الاتصال او التطور التي استعملها ابن خلدون كانت مستعملة قبله ، فهو لم يخترعها اختراعاً وانما اقتبسها اقتباساً ، وقد يصعب علينا الوقوف على اول من اخترع هذه الألفاظ فان ذلك يقتضينا تتبع كتب الفلسفة كلها ، المطبوع منها والمخطوط ، وقد يجوز ان يكون في رسائل اخوان الصفا اشارة اليها ولسنا نريد بالاختراع وضعها وانما نريد الاصطلاح على معانيها كما اصطالحوا على معاني الألفاظ الاسلامية والفاظ النحو والصرف والشعر والعروض وغيرها .

وقد تكون صعوبة الاهتداء الى لفظ يدل على المعنى الحديث مثل صعوبة الاهتداء الى هذا المعنى ، فاذا نظرنا الى معنى الأفق الذي استعمله ابن خلدون وابن مسكويه وجدنا هذا المعنى متسعاً فالأفق في اللغة بالضم او بضمين الناحية او ما ظهر من نواحي الفلك ، وهذا المعنى ضيق ولكن فلاسفة العرب لما نقلوه من معناه الضيق الى معناه الفلسفي وسعوه كل التوسيع ، فالأفق في مذهب الاتصال او «التطور» يشير الى نوع من انواع الجماد او النبات او الحيوان او الانسان مستعد للانفصال عن حال والاتصال بغيرها فالاهتداء الى هذا اللفظ ونقله من معنى الى معنى يستلزم كثيراً من البراعة .

واذا دققنا في الفاظ ابن خلدون في مذهب الاتصال تبين لنا انه استعمل

الفاظ غيره من الذين تقدموه ، من هذا النحو استعماله الترتيب ، وهو لفظ له شأن في هذا المذهب وهذا اللفظ جرى كثيراً على قلم ابن مسكويه .

ان ابن خلدون على جلالته قدره لم يخترع مذهب الاتصال ولا وضع الفاظه ومصطلحاته ، فقد ثقف علوم العصور التي تقدمته فأدركها أتم ادراك وفهمها اكل فهم ثم خصها تلخيصاً يدل على فطنة ثاقبة وعقل راجح ، واستعمل الفاظ اهلها ومصطلحاتهم ، فهل نهتدي في علم العمران الذي وضعه الى الفاظ وتراكيب استعملت قبل ابن خلدون ، كما اهتمدنا في مذهب الاتصال الى مثل هذه الألفاظ والتراكيب ؟

هذا موضوع مقال آخر .

شفيق هجري



المواضع الأثرية في جزيرة العرب

موقع سوق عكاظ

هذه كلمة حاولت ان أوضح بها موقع سوق «عكاظ» ، مورداً أقوال متقدمي المؤرخين ، وواصفاً - على ضوء مشاهدتي - المكان الذي لا يخامرني شك في أنه هو موقع ذلك السوق ، ومحاولاً تطبيق تلك الأقوال على أوصاف ذلك المكان ، ومشيراً الى آراء متأخري الكتاب والأدباء ، اشارة قصدت بها اطلاع القارئ على مختلف الآراء في هذا الموضوع وان كانت تلك الآراء - في نظري - قد جانفت الصواب ، وخالفت الحق ، ولم أكلف نفسي عناء مناقشتها ، أو بيان ما فيها من جنفٍ أو خطأ ، يظهران بمقارنتها بأقوال المتقدمين .

١ - أقوال متقدمي المؤرخين في تحديد موقع عكاظ

- ١ - قال محمد بن اسحاق (٠٠٠ - ١٥١هـ)^(١) : كانت مجنّة بمرّ الظهران ؛ الى جبل يقال له الأصفر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف ؛ الى بلد يقال له الفتق ، وكان ذو الحجاز ناحية عرفة الى جانبها .
- ٢ - وقال محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧)^(٢) : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وذو الحجاز خلف عرفة ، ومجنّة بمرّ الظهران .

(١) « هدهاء الغرام بأخبار البلد الحرام » نسخة خطية . في مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله بمكة (س ٤٩٣ ج ٢) . والكتاب تأليف ابي الطيب الفاسي المتوفى سنة ٨٣٤ .
(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .

٣- وقال ابو عبيدة؛ معمر بن المنتشى (١١٠ - ٢٠٩) : عكاظ (١) فيما بين نخلة والطائف؛ الى موضع يقال له الفتق ، وبه أموال ونخل لثقيف ، بينه وبين الطائف عشرة أميال .

أقول : للطائف من مكة اربعة طرق : طريق يمر بعرفات ، ثم بعقبه جبل كراء ، ثم بأعلى وادي قرن (وادي المسحرم) ثم بالطائف ، ومنه سلك رسول الله ﷺ في عودته من دعوة ثقيف الى الاسلام ، وهو أخصر الطرق وأوعرها . والثاني : يمر بمنهل حنين (عين الشرائع) ثم يتجه مشرقاً فيصعد عقبه دجنسى (وتصحف في الكتب القديمة بيد حنسى - مُجنسى) فوادي قرن ، فالطائف . وكانت القوافل - ولا تزال - تأتي معه . قال أحد شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري (٢) :

رأى صاحبي أثمار « وَّجَّ » فقال لي : تسمى هذه الأثمار تسقط أم مُجنسى ؟
فقلت له : كلها هنيئاً فإنما أطابها مُجنسى ، وتأتيك من مُجنسى ،
والطريق الثالث : يمر بالشرائع ، فوادي يدعان (جدعان في هذا العهد) فوادي سبوحه ، فقربة الزيمة ، فوادي نخلة البانية ، فقرن المنازل (السيل الكبير) فالنقاب (الربعان جمع ربيع) ثم ينحرف ذات اليمين الى الطائف . وهذا هو الطريق الرئيسي في هذا العهد ، للسيارات والقوافل . والرابع لا ينحرف بعد المناقب بل يتجه مشرقاً حتى يجوز الجبال ، ويدع جبال الطائف أيمنه ، فيمر بقرب عكاظ ، ثم يأتي الى الطائف من أسفله . والمتقدمون الذين قالوا ان سوق عكاظ يقع بين نخلة والطائف ، قصدوا هذا الطريق ، ومنه سارت قريش حينما انهزمت في وقعات الفجار ، مارّة بنخلة . وقد سلكه رسول الله

(١) معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ص ٦٦٠ طبعة باريس سنة ١٨٧٧ .

(٢) تاريخ الطائف للمجيمي مخطوط .

عليه السلام في غزوة الطائف فمرّ بنخلة البامية ، فقرن المنازل ، فبطن المليح ، فبحرة الرّغاء من وادي ليّنة ، فوادي نخب ، فالفقرن الأسود ، فالطائف .
وقد حدّد الهمداني موقع الفتق فقال ^(١) : اذا استقبلت مكة وانت في الفتق وقع الطائف بينك وبين مغرب الشمس ، وقال : بين الفتق وبين المناقب اثنا عشر ميلاً ، وبين المناقب وبين قرن المنازل ستة أميال . وذكر ان الفتق قرابة كانت لبني هلال فخرت . وذكر الأصبهاني في الأغاني (ج ١ ص ١٤٩ طبعة السامي) أن الفتق أسفل وادي العرّج ، ومعروف أن العرّج شمال الطائف بميل قليل الشّرق .

٤ - وقال الأصمعي : (١٢٢ - ٢١٦) ^(٢) : عكاظ نخل في وادي ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب ، بموضع يقال له الأثيّداء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صحور يطوفون بها ويحجّون إليها .

٥ - وقال ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ تقريباً) ^(٣) : كانت عكاظ في وسط ارض قيس عيلان .

٦ - وقال الأزرقي (المتوفى سنة ٢٤٤ تقريباً) ^(٤) : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء ، في عمل الطائف ، على بريد منها ، وهي سوق لقبس عيلان وثقيف ، وأرضها لنصر .

٧ - وقال محمد بن حبيب البغدادي ^(٥) (المتوفى سنة ٢٤٥) : جهار

- (١) صفة جزيرة العرب للهمداني طبعة دار في ليدن ص ١٨٧ و ١١٩ .
- (٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .
- (٣) كتاب « النيجان » في ملوك حمير ص ٢١٠ طبعة حيدرآباد (الهند) .
- (٤) كتاب تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٠ طبعة مكة .
- (٥) كتاب المعبر لمحمد بن حبيب ص ٣١٥ المطبوع في الهند .

[صَنَمٌ] لهوازن بعكاظ . وقال : عكاظ بأعلى نجد ، قريباً من عرفات .
 كذا ورد في كتاب « المحبّر » - ص ٢٦٧ المطبوع في الهند - ولعله سقط
 من كتاب ابن حبيب هذا ؛ أو من أصله الذي نقل عنه - ان كان له أصل -
 كلمة (وذو الحجاز) بعد كلمة نجد ، وإلا فأين أعلى نجد من عرفات ؟ ! ومن
 الغريب أن الذين جاؤا بعد ابن حبيب ونقلوا كلامه ، نقلوه بهذه الصورة ،
 كالمرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة ، وابي عبيد البكري في كتاب
 معجم ما استعجم ، والحميري في كتاب الروض المعطار .

٨ - وقال عرام بن الأصبح السلمي^(١) : والفقا جبل لبني هلال ، حذاء عنّ .
 وحذاؤه جبل آخر يُقال له بُسٌّ ، وفي أصله ماء يقال له بقعاء لبني هلال ،
 بئر كثيرة الماء ليس عليها زرع ، وحذاؤها اخرى يقال لها الحدود . وعكاظ
 منها على علوة . وعكاظ صحراء مستوية ليس فيها جبل ولا علم ؛ الا ما كان
 من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وبها الدماء من دماء البدن كالأرجام
 والعظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمرتين ، وخليص هذا رجل ، وهو
 ببلاد تُسمّى رُكْبَة .

٩ - وقال ابن واضح اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٩٢)^(٢) : سوق عكاظ
 بأعلى نجد ، تقوم في ذي القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب الا ان أكثرها مُضَر .
 ١٠ - وقال الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤ تقريباً)^(٣) : - بعد ان أورد

(١) في كتاب « أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما بنت عليها من
 الأشجار وما فيها من المياه » نسخة خطية تقع في ١٨ صفحة لدى الشيخ محمد نصيف
 في جدة وقد نقل البكري وياقوت معظم هذا الكتاب في كتابيهما .

(٢) تاريخ اليعقوبي (ص ٢٢٧ طبعة العراق) .

(٣) صفة جزيرة العرب ، طبعة د . هـ . ١٠٠٠ في لندن ، الصفحات ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

١٦٤ ، ٧١ . غلى التوالي .

قول عيسى بن احمد الرداعي في ارجوزته التي وصف بها طريق الحج من صنعاء الى مكة ، وقد أوردت من أبياتها موضع الشاهد :

يا ناق هم الشهر بانسلاخ فأزمعي بالجد لا التراخي
عن ذي «طوى» ذي الحمض والسباخ قاربة للورد من «كلاخ»
مشفقة من زاجر كظاظ مسهلة للخبث من «عكاظ»
تاركة «قرآن» للمناقب و «شرباً» في جنح ليل واقب

قال الحمداي : عكاظ بمعكده هوازن ، وهو سوق العرب القديمة . وهو لبني هلال اليوم . قرآن وشرب مكانان من أرض عكاظ . وهذه المواضع من الجرداء . ويضرب على مشرق جميع هذه المواضع جبل الحظن ، من الحجّة على يوم وكسر . ثم ضرب الناس من قرآن وشرب ذات اليسار ؛ فملوا رأس السراة وهو المناقب ، وانحدروا فيها ، وسقطت بهم على قرآن الحرّض ، وهو الذي وقتته النبي ﷺ لأهل نجد . وقال : وحضن عكاظ جبل ، وفيه بقول الأعشى : كخلفاء من هضبات الحضن . وقال الراجز :

لما بدا شعث بأعلى السبي وحضن مثل قرى الزنجي

وقال الحمداي - أيضاً - سراة الطائف غورها مكة ، ونجدها ديار هوازن من عكاظ والفتق .

١١ - وقال ابو عبيد البكري (المتوفى سنة ٤٨٧) (١) : عكاظ بضم أوله وفتح ثانيه وبالضاء المعجمة ، صحراء مستوية ، لا علم فيها ولا جبل ، الا ما كان من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها دماء الابل كالأرحاء العظام (في نسخة خطية : الأرحال) . وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً لمكة

(١) كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد من ٦٦٠ - ٦٦٢ طبعة اوروبية سنة ١٨٧٧ .

في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من مائة يقال لها نقعاء (في الخطبة بقعاء) بشر لا تنكفُ . . . واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة وتركت عام خروج الحرورية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ إلى هاتم جراً . . . ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركية ، بها عين تسمى عين خليص ، للعريتين ، وخليص رجل نسبت إليه . وذكر ابو عبيدة انه كان بعكاظ أربعة أيام؛ يوم شمطة ، ويوم العباء ، ويوم شرب ، ويوم الحريرة ، وهي كلها من عكاظ ، فشمطة من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة ، بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار ، على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال له دحيم ، فلم يقتل منهم أحد ، وقال خديش بن زهير :

فأبلغ ان صرت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليدا

بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين^(١) إن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول ، من يوم شمطة ؛ بالعباء ، الى جنب عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة ، وقال خديش ابن زهير :

ألم يبلغكم انا جدعنا لدى العباء خندف بالقياد

ضربناهم بطن عكاظ حتى تولسوا طالعين من النجاد

فهو يوم العباء . ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نخلة ، يشرب ، وشرب من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيد

(١) في النسخة الخطية (المجد) بدل (الدين) وكذا في معجم البلدان لياقوت

ابو سفيان وحرَّب ابنا أمية وابو سفيان بن حرب أنفُسَهُمْ ، وقالوا :
لا يبرح رجل منّا مكانه حتى نموت ، أو نظهر ، فسمّوا العنابسة ، وجعل
بلعاء بن قيس يقاتل ويرتجز :

ان عكاظًا ماؤنا فخلّوه وذو المجاز بَعْدُ لَسْ تَحَلّوه

فانهزمت هوازن ، وقيس كلها ، إلا بني نصر ، فإنها صبرت مع ثقيف ،
وذلك أن عكاظًا بلدهم ، ولهم فيه نخل وأموال ، فلم يفتنوا شيئًا ، ثم انهزموا
وقتل هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أمية بن الأشكر الكناني :

الاسائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا

لدى «شرب» وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أيلنا

ثم التقوا على رأس الحول ، بالحريرة ، وهي حريرة إلى جنب عكاظ ،
مما يلي مهب جنوبها ، فكان لهوازن على قريش وكنانة وهو يوم الحريرة .
١٢ - وقال الشريف الإدريسي (المتوفى سنة ٥٦٥)^(١) : وسوق عكاظ
قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ، ومياه كثيرة ، ولها سوق ، يوماً
في الجمعة (كذا) وذلك يوم الأحد يقصد إليها في ذلك اليوم بأنواع التجارات
أهل تلك الناحية ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد إلى موضعه ومكانه ،
ومن سوق عكاظ إلى مدينة نجران خمس مراحل .

١٣ - وقال ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦)^(٢) : العبلاء اسم علم
لصخرة يضاء إلى جنب عكاظ . وقال : كلاخ - بالخاء المعجمة - موضع
قرب عكاظ .

(١) كتاب « تزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي ورقة ١٠٢ ج ١
نسخة دار الكتب المصرية المصورة رقم ٢٦٣ جغرافية .

(٢) معجم البلدان « ج ٦ ص ١١٣ ، ج ٧ ص ٢٧١ » .

١٤ - وقال الحِمَيْرِيُّ مؤلف الروض المعمار (١) : عكاظ صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل ، إلا ما كان فيها من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد ، وقريب من عرفات (كذا) . وقيل هي وراء قرن المنازل بمرحلة في طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف ، وقيل هي على ثلاث مراحل من تبالة ، وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة ، ولها سوق في يوم الجمعة ، يقصده الناس في ذلك اليوم بأنواع التجارات ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه .

١٥ - وقال الفيثومي (المتوفى سنة ٧٧٠) (٢) : عكاظ وزان غراب ، سوق من أعظم أسواق الجاهلية ، وراء قرن المنازل بمرحلة ، من عمل الطائف ، على طريق اليمن . وقال ابو عبيد : هو صحراء مستوية ، لا جبل فيها ولا علم ، وهي بين نجد والطائف .

هذه جملة من أقوال المتقدمين الذين تعرضوا لتحديد « عكاظ » وهي على اختلاف عباراتها متقاربة في المعنى ، بل متطابقة من حيث الجملة ، وقد لا يوجد للمتقدمين من المؤرخين من الأقوال في تحديد سوق « عكاظ » ما يخالفها .

ب - خلاصة الأقوال المتقدمة

تلخص تلك الأقوال بأن موقع سوق عكاظ :

١ - في أعلى نجد ، فليس في تهامة ، ولا في الحجاز ، ولذلك عدّه

(١) الروض المعمار ، نسخة مكتبة عارف حكمت (شيخ الاسلام) المخطوطة في المدينة وقد وم مؤلف كشف الظنون حينما ذكر ان الحميري هذا توفي سنة ٩٠٠ وقلّده بروكهاوس ، والصحيح انه قبل هذا التاريخ ، اذ القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ ينقل عنه في صبح الأعشى . ولا يبعد ان يكون من أهل القرن السابع الهجري .
(٢) الصباح المنير ص ٤٩ ج ٢ طبعة بولاق .

ابن خُرْدَادْبَه في كتاب المسالك^(١) وابن رُسْتَه في «الأعلاق النفيسة»^(٢) والبكري في «معجم ما استعجم»^(٣) من مخاليف مكة السجديية .

٢ - وانه في بلاد قيس عيلان من مضر ، ثم في بلاد بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن قيس عيلان ، وبلاد منها من مواضع لا تزال معروفة بأسمائها القديمة ، مثل (رُكْبَة - بَيْسَل - لَيْبَة ؛ وفيه هدم رسول الله ﷺ حصن^(٤) مالك بن عوف رئيس تلك القبيلة - جلدات - بَس - قُرَّان - العقيق) ولا تزال بقية قبيلة بني نصر في مواضعها هذه ، فقبيلة «الجشمية» - وهم بنو جشم بن معاوية بن بكر - الذين منهم دريد بن الصمة - منازلها الآن : قُرَّان ، وعُشَيْرَة - في بطن العقيق - . والعُصَمَة^(٥) - وهم خُلطاء لأولئك منذ العهد الجاهلي - في أسفل وادي لَيْبَة ، والنشَقَعَة^(٥) - وهم من هوازن - في وادي كلاخ ، مجاورين لهؤلاء .

٣ - وانه يبعد عن الطائف مسافة اختلف المتقدمون في تقديرها بين عشرة أميال ، أو يزيد (وهو ١٢ ميلاً) أو مسيرة يوم ، ولكن هذا الاختلاف ليس جوهرياً ، اذا لاحظنا أن الطائف لا يطلق على المدينة وحدها ، بل يشمل ما يجاورها من الأمكنة والقرى التابعة لها . وإذَنْ فتحدد المسافة في جميع تلك الأقوال صحيح .

٤ - وأنه على طريق اليمن من مكة بين المناقب وبين كلاخ - ولليمن الى مكة طريقان : تهاميٌّ ، يأخذ على الساحل ، وآخر يأخذ على أطراف السراة

(١) صفحة ١٣٣ طبع أوربة .

(٢) ص ١٨٤ طبع أوربة .

(٣) ص ١٩٥ طبع أوربة .

(٤) انظر في سيرة ابن هشام خبر هدمه في غزوة الطائف .

(٥) راجع كتب الأنساب ومادة «ع س م» من تاج المروس .

م (٥)

ماراً ببلاد عسير ، وهو الذي يقع عكاظ فيه ، وقد وصفه عيسى بن احمد الردامي - من أهل القرن الثالث الهجري وحدد مراحلها ، وعدد مناهله ، وبتبين أعلامه في أرجوزته التي سافها الهمداني في آخر كتابه « صفة جزيرة العرب » . وحدد الهمداني في صفة الجزيرة (ص ١٨٢) مراحل هذا الطريق ، فقال - باختصار - : ومن بيشة بُعْطان الى تبالة ١١ ميلاً وهي من صنعاء على ٢٣ بريداً = ٢٨٦ ميلاً = وعرضها ١٨ درجة ^(١) وثلاث وعشُر ، ومنها الى القُرْبَعَاء ٢٢ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة . ومنها الى كرى ^(٢) ١٦ ميلاً ، وعرض كرى ١٩ درجة وسدس وثلاثا عشر . ومن كرى الى تُرْبَة ١٥ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة وثلاث وثمان درجة . ومنها الى الضَّفْن ٢٢ ميلاً ، وعرض الضَّفْن ١٩ درجة وثلثان وثمان . ومنها الى الفُتُق ٢٣ ميلاً ، وهي من صنعاء على ٣٠ بريداً = ٣٦٠ ميلاً = ؛ والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق الى المغرب ، وعرض الفتق ٢٠ درجة وعشُر درجة . ومنها الى رأس المناقب ١٢ ميلاً ، وهي منتهى الطريق وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب او الجنوب ، وعرض رأس المناقب ٢٠ درجة وربع وثلاث عشُر . ومن رأس المناقب الى قسرن - ويسمى قرن المنازل - ستة أميال . انتهى . وقد يعدل هذا الطريق من الفتق فيتجه شمالاً نحو منهل غمرة ، فذات عرق ، ميقات أهل العراق ، حيث يجتمع مع طريق العراق الى مكة . وتبلغ نهاية اتجاهه شمالاً في غمرة ، التي ذكر الهمداني (ص ١٨٥) أن عرضها ٢٢ درجة وأنها تبعد عن ذات عرق ٢١ ميلاً ، وان عرض ذات عرق ٢١ درجة وثلثا درجة . ويصف ابن رسته (ص ١٢٩) غمرة

(١) في النسخة المطبوعة عبّر عن الدرجة بكلمة ('جزء') ولكن في نسختي المخطوطة سنة ١٠٢٩ سماها « درجة » .

(٢) كرى واد عظيم معروف في هذا المهد بين تربة وبين وادي رنبيه .

بأنها منزل خصب ، كثير الماء من البرك والآبار ، وقال : ومن هذا المنزل
يجرم الحاج الالجالين فإنهم يجرمون، من ذات عرق . وقال قدامة بن جعفر^(١) :
ومن الغمرة تعدل الى اليمن ، فن الغمرة الى الجندد^(٢) ١٣ ميلاً ، وهو
موضع البريد ، ومنقسم القوافل ، وليس فيه الا بئر واحدة ، ونخل وزرع ،
يستقى لها بالابل ، وهي موضع يُسْر مولى عثمان بن عفان ، ومن الجدد^(٣)
الى الفتق ، ومن الفتق الى ترّبة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جاربة وزروع ،
وهي قرية خالصة مولاة المهدي .

وقد اقتصر الحمداني في كلامه المتقدم على ذكر محطات الطريق ، ولم يذكر
غيرها من المواضع ، ولكن الرداعي أشار الى كثير منها في أرجوزته ، ولعل
من المفيد ذكر الأبيات ، التي لها صلة بهذا البحث ، دون غيرها ، مع ايضاح
الحمداني لها - قال -^(٤) :

ثم انتجت بالسيّر منبهاً المطنّب الى « غرابات » القرين الأنصب
ثم « الحريداء » بيوت خد معقب ثم الى « ضفّن » روي المشرب
ثم على « ركبنة » مرّ الأركب

الغراب قرن مُنتصب . والحريداء أرض واسعة ، وضفّن منهل تأتيه
الأعلاف من أمطار من ناحية الطائف :

قلت لها في مطلعهم طاخ « بأوقح » ذي المنهل الوضّاح
باناق همّ الشهر بانسلاخ فانتفضت بمشرف شمشاخ
عن « ذي طوى ذي » الحمض والسباخ قاربةً للورد من « كلاخ »

(١) « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » المطبوع بعضه في لندن سنة ١٣٠٦ مع
كتاب المسالك لابن خرداذبة .

(٢) كذا والصواب (الحمد) بالخاء .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٦١ وما بعدها .

أوقح منهل على واد عذب الماء ، وقيل لعليل من أهل صنعاء - وهو في منزله - : ماذا تشتهي ؟ قال : شربة من ماء أوقح^(١) . وكلاخ واد ماؤه ثقيل ملح . وكل هذه البلاد من تبالة الى نخلة ديار هوازن ؛ فيها من كل بطونها .
يا هندی لو أبصرت عن عیان فلائنا یوضیعن فی « جلدان »
بالقوم من بقظان او وسانان علمت من ذو الفضل فی الركبان
جلدان موضع قاع .

إذا انتحى القوم على الخوص العنقُ عن «ذات أصداء» سنا في «الفنق»
أقول للبارق وهنا إذ برق هبجت أشجاناً لذي شوق علق

فقلت لما تاب لي احتفاظي سل الهوى عن قلبك المغناظ
والعبس تطوي الأرض بالمظاظ مسهلة للخبت من «عكاظ»

فانجرت بالرفق العصاب عيديّة مفعمة المناكب
تاركة «قران» «للمناقب» بحيث خطّ الميل كفّ الكاتب
و «شرباً» في جنح ليل واقب

حتى إذا أدنى الركاب مدني استبدك بالخوف دار الأمن
وجاءت الميقات «وادي «قرن» ومسجداً حفاً يزى الحسن
بقرن مسجد النبي ﷺ وبثره ، وهو واد ونخل وحصون ، وهو على رأس البوابة .

ثم استطفوا فوق بمحلات مفضين بالسّير الى «البوبات»

(١) أوقح لا يزال معروفاً باسمه وهو في بلاد بالبحارث في هذا العهد ويقع من كلاخ مطلع الشمس ، ويبعد عنه مسيرة نصف نهار للابل .

البوبات^(١) أرض منقلبة الى وادي نخلة ومصعدا الى قرن كثيب لا تكاد تعدوه الروايا والآنضاء .

ثم اعتزمتن العيس بالتصميم عوائداً للمسجد المعلوم
قواصداً «الكفو» «فالسوم»^(٢) الى بريد الصخرة المعلوم
المسجد المعلوم مسجد ابراهيم عليه السلام الى رأس وادي نخلة ، ينزل الناس
فيصلون فيه وبدعون ، والكفو والسوم جبلان بنخلة .

لِضَيْعَةِ الطَّلْحِيِّ مستقيمه صادرة عنها تؤم « الزَّيْمَةُ »
ثم على « سَبْوَحَةُ » القديمة الى « أَرَبِكُ » تعلي صميمه
ضَيْعَةُ الطَّلْحِيِّ من قريش نخل قديمت . الزيمة موضع فيه بستان ابن عبيد الله
الهاشمي ، وكان في أيام المقتدر على غاية من العارة ، وكان يغل خمسة آلاف
دينار مثقال ، وفيه حصن للمقابلة مبني بالصخر ، ويحميه بنو سعد ٠٠٠ وعدد
جذوعه ألوف ، وفيه غيل مستخرج من وادي نخلة ، غزير ، يفضي الى فوارة
في وسط الحائط ، تحت حَنْيَّةٍ ، ثم الى مأجل كبير ، وفيه الموز والحناء
 وأنواع من البقول ، وسبوحه^(٣) موضع ، وأربك عقبة تضاف الى المكان
 فيقال عقبة أربك بضم الألف ٠٠٠ والطريق حينئذ من رأس المناقب الى مكة
 ما بين المغرب والجنوب ، ثم تكون الشمس عاشياً على صدغك الأمين .

ثم انتحّت - وخنداً - على انكماش « بشر الجذامي » باحتياش
 الى « حُسَيْنِ » المنهل الجياش حتى اذا أفضت الى « المشاش »
 عجتت بتحنات لشوق غاشي

(١) البوبات تعرف الآن باسم « البُؤَيْبَةُ » .

(٢) يقال لها « اليسومان » من باب التقلب ويحرف اسمها الآن « السومان » .

قال الراجز :

يا ناق سيرى قد بدا يسومان فاطوبها تبدو قنان « غزوان »

(٣) سبوحه معروفة باسمها في هذا العهد ، واد فيه مزارع على المطر .

- آبار الجذامي : بئر معمورة ، والجذامي من أهل مكة . وحنين هو الذي كانت فيه وقعة حنين بين النبي ﷺ وهوازن . والمشاش : موضع تلتقي فيه محجة اليمن ونجد . ومحجة العراق والبحرين . انتهى ملخصاً .
- - وانه يقع في صحراء مستوية ، خالية من الأعلام والجمال ؛ سوى صخرات كبار ، وحُريرة في مهب الجنوب منه .
- ٦ - وانه متصل بأرض رُكبة - ويقع جبل حَضَن في مشرفة مسيرة يوم وكَسْر ، ويقع وادي قُرْآن في مغربه ، بقره .
- ٧ - وأن من أوديته وادي « شَرِب » .

ج - أين موقع سوق عكاظ ؟

ان جميع الاوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقاً تاماً على الأرض الواسعة ، الواقعة شرق الطائف - بميل نحو الشمال - خارج سلسلة الجبال المطيفة به ، وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة (٣٥ كيلو متراً تقريباً - ومسيرة ليلة للابل) . ويجدها غرباً ، جبال بلاد عدوان (الحَضِيْرَاء - شَرِب العُقْرِب^(١)) وجنوباً : جبال أسفل وادي لَيْبَة ، وابرق العَبَيْلَاء ، وضلع الحُلَص ، وشرقاً : صحراء رُكْبَة - وفي أقصاها جبل حَضَن - وشمالاً : طرف رُكْبَة - وهو من عكاظ - والجبال الواقعة شرق وادي قرآن . وتشمل هذه الأرض وادي الأخيضر (وهو المعروف قديماً بامم وادي عكاظ) ووادي شرب ؛ حينما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الأرض ، وما اتصل بهما من طرف ركبة الشمالي الغربي .

(١) هذه القرى الثلاث سكانها قبيلة عدوان .

د - المواضع التي بقرب عكاظ

ذكر المتقدمون مواضع كثيرة ، يستدل بها على موقع سوق عكاظ ،
منها ما هو معروف في هذا العهد باسمه القديم ، ومنها ما هو مجهول ،
فمن المواضع المعروفة :

١ - بُسْ : وهو جبل أسود (طرف من الحرة) مشرف على منهل
عشيرة ، التي هي المحطة الأولى بعد قرن المنازل ، للذهاب الى نجد ، ويقع هذا
الجبل شمال موقع عكاظ ، بمسافة لا تزيد على مسيرة نهار للاول .

٢ - جلدان : وهي أرض سهلة واسعة ، تقع بين وادي لية ، ووادي
بَسْل ، وفيه هضبة سوداء تسمى «بَتْنَعَةُ» نقل ياقوت عن الأصمعي (١)
أن بها نَقْباً ، كل نَقْبٍ قَدْرُ ساعة ، كان يلتقط بها السيوف العادية
والخرز ويزعمون ان فيها قبوراً لعاد ، وكان يعظمون ذلك الجبل . وتسمى
هذه الهضبة في عهدنا الحلالة - حلالة جلدان - ومن كلام بدو تلك
الناحية : مَنْ مَلِكُ نَزْهَانِ بْنِ نَزْهَانَ ، وَأَتَانَةٌ وَأَتَانٌ ، وَخَمْسِينَ مِنْ
الضَّانِّ ، وَمَرْعَى فِي جَنْبِ حَلَاةِ جِلْدَانَ ، فَهُوَ سُلْطَانٌ مَا عَلَيْهِ سُلْطَانٌ ،
أَي مِنْ مَلِكِ كَلْبًا أُصَيْلًا ، وَحِمَارِينَ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَخَمْسِينَ شَاةً يَرَعَاهَا فِي
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَقَدْ بَلَغَ الْعَابَةِ فِي الْعَزِّ .

٣ - حَضَنَ : وهو الجبل المعروف الذي ورد فيه المثل : «من رأى حضناً
فقد أنجد» . ويقع شرقي موضع عكاظ ، ويشاهد منه عن بُعد ، مسيرة
يوم للاول .

٤ - رُكْبَةٌ : وهي فلاة واسعة تبلغ مسيرة أيام للاول ، وعكاظ في
طرفها الغربي الجنوبي ، متصل بها .

(١) معجم البلدان (ج ٢ ص ٣٦٣) وقد نسب صاحب التاج هذا الكلام الى
البكري ، ولكنه لا يوجد في معجمه المطبوع .

٥ - شَرَب : وهو وادٍ عظيم ، أعلاه وادي العقيق الواقع غرب الطائف وشماله ، ثم ينحدر ماراً بمزارع القَيْمِمْ وأُمِّ الحَمْضِ والقُدَيْرَةِ ، ثم يلتقي به وادي الحَوَيْتِ من الغرب ، ثم يمرُّ بقريّة «شَرَب» أسفل الحَوَيْتِ ، بينها ميل واحد ، ثم يجوز السلسلة الجبلية ويفضي الى الأرض البراح ، فَتَسَمُّ عكاظ ، حتى تنتهي الى وادي الأخيضر في طرف ركبة . وقد يطلق على سوق عكاظ اسم شرب كما في قول الكميّ (١) :

وفي الحنيفّة فاسأل عن مكانهم

بالموقِفَيْنِ ، ومُلْدَقِي الرِّحْلِ من شَرَبِ

٦ - العِلاء (٢) : قرية ذكر الحمداني أنها خربت ، وتقع بقرب العُبَيْلاء ، قرية عدوان المعروفة ، وتقع جنوب عكاظ .

٧ - عُنُّ : جبل يقع بين المتجه نحو تَسْرَبَةَ ، ويشاهد على مسافة بعيدة من طرف ركبة الجنوبي ، ويقع جنوب عكاظ ، يميل الى الشرق . وفي هذا الجبل وَشَلُّ يرده بعض المسافرين .

٨ - قُرَّان : وادٍ ينحدر من الأرض الواقعة بين الحوية وبين السيل الصغير وما حولها ، حتى يجتمع بوادي العقيق الكبير ، الذي هو أعظم الاعقّة وأطولها . ويقع وادي قُرَّان غرب عكاظ ، يفصل بينهما آكامٌ تمتد من الجنوب الى الشمال ، وقد عدَّ الحمداني قُرَّان من أرض عكاظ ، والظاهر أنه خارج عنها ، وفي العقيق بقول الصمة الجشمي (٣) - ابو دريد - في حرب الفيجار التي وقعت في عكاظ :

(١) معجم البكري ص ٨٩ .

(٢) في ترجمة ابن الدمينية من كتاب «الأغاني» انه كان ينشد شعراء في سوق العِلاء .

(٣) كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٧٦٩ .

- ولافت قريش غداة «العقيق قى» أمراً لها وجدته وبيلا
 وجئنا اليهم كموج الأتي - بعلو النجاد وبيلا السبيلا
 و «العقيق» و «قُرَّان» مجاوران لعكاظ من الجهة الغربية الشمالية .
- ٩ - كلاخ : قرية فيها مزارع ، أسفل وادي بَسَل ، وتقع جنوب عكاظ
 • ميل الى الشرق .
 المواضع المجهولة :
- ١ - الأثداء : ذكر الأصمعي أن سوق عكاظ بquam في هذا الموضع ،
 وهو غير معروف في هذا العهد .
- ٢ - بقعاء : يفهم من كلام عَرَّام أنها في أصل بُسَّ ، أنها بئر عَشَّيرَة
 القديمة أو بقريها ، اذ هي في أصل بُسَّ .
- ٣ - حبيب - نقل البكري عن ابن الأعرابي أن جُبَّجُباً من عكاظ .
- ٤ - الحُرَّيرَة : تصغير حرَّة - بدلُ كلام المتقدمين أنها هي المعروفة في
 هذا العهد بِيضِلْع الحَلَص ، وهو جُبَّيْلُ أسود صغير ، يقع في الجنوب
 بميل قليل نحو الشرق من موقع عكاظ . وان لم تكن هو فهي مجهولة .
- ٥ - الحُدُرد - أو الحُدَّد - : يفهم من كلام ياقوت والزيدي ، وقبلها
 قدامة الكاتب وقد تقدم كلامه - أنها تقع شمال موقع عكاظ ، فيما بينه وبين
 منهل عَشَّيرَة .
- ٦ - دَخَم : الجبل الذي لجأت اليه بنو كنانة ، يوم شمطة فسلموا - لا يبعد
 ان يكون الجبل المسعى بالصالح ، بقرب قرية «العقرب» لعديوان ، ويسمونه
 الصالح لاعتقادهم بأن رجلاً صالحاً قبر فيه ، وهم يعظمون ذلك الجبل في
 العهد الماضي . ويقع بقرب عكاظ في الجهة الغربية .
- ٧ - شمطة : موضع في عكاظ غير معروف .

٨ - عَيْنٌ خُلَيْصٌ : غير معروفة ، ولعلها كانت بقرب ضلع الحُلَيْص ، جنوب عكاظ .

٩ - الفتنق : بلد قد اندرس كما ذكر ذلك الهمداني ، ويفهم من كلام المتقدمين انه جنوب عكاظ بينه وبين العرّج .

١٠ - القفّاء : جبل يفهم من كلام عرام انه أحد الجبال المجاورة لجبل عُنّ . وهو غير معروف . وأورد عرام فيه هذا البيت :

وقالوا خرجنا من القفا وجنوبه وعنّ ، فهمّ القلبُ أن يتصدنا

هـ - سكان هذه النواحي

أشار المتقدمون الى أن هذه الجهات ؛ من منازل هوازن ، ثم صارت لبني هلال ، والظاهر ان بني هلال حلّوها وقت انتشارهم وقوتهم ، في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك الى مصر ، ثم الى بلاد المغرب عاد سكانها الأصليون اليها ، ولا يزالون بها . فمن سكانها :

١ - الجُثمّة : واحدهم جُثمّيةٌ - وقد يقال : جثمّية - وهم بنو جُثمّ بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، و « الجثمّة » تحريف « الجثمّة » بالشين ، لتقارب الحرفين في بعض صفات النطق . وتسكن هذه القبيلة في وادي « قرآن » ووادي « العقيق » وفي السَّيْل الصغير .

٢ - عدّوان : القبيلة القديمة التي منها حكيم العرب ، عامر بن الضرب ، ومنها ذو الاصبع الشاعر ، وتسكن في وادي « شرب » وفي قرية « العقرّب » وهي قرية على ضفة وادي الأخضر في أعلاه فيها نخل ، وفيها عين أو شكت أن تغور . وفي قرية « العيلاء » .

٣ - العُصّة : وهم خلطاء لبني جُثمّ وهم منهم ، كما في المقتضب وغيره من كتب النسب - ويسكنون أسفل وادي ليّة ، في وادي يسمي باسمهم .

و - آراء المتأخرين في تحديد موضع عكاظ

١ - رأي الأستاذ خير الدين الزركلي :

قال في رحلته «مارأبت وما سمعت» : وعلى ذكر السيل أو الجانية ، لا أرى أن تفوتني الإشارة الى أشهر سوق من أسواق العرب ، أعني سوق عكاظ ، لوقوعها في تلك الطريق ، على مرحلتين من مكة للذهاب الى الطائف عن طريق السيل ، يميل قاصد عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحو نصف ساعة ، فاذا هو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب ، يسمونها «القانس» بالكاف المعقودة ، وهي موضع سوق عكاظ - الى ان قال - والواقف في القانس أو عكاظ يرى على مقربة منه موضعين مرتفعين ؛ أحدهما يسمى الدّمة بكسر ففتح ، والآخر البهيتة ، بصيغة التصغير ، وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق التي يمرُّ بها سالكو درب «السيل» الجانية - ثم قال الأستاذ بعد إيرادته لكلام ياقوت في المعجم - وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون ان عكاظاً كان في مكان يعرف اليوم باسم «القهاوي» في وادي لية من الطائف ، غير ان الشيوع يؤيد ما قلناه آنفاً من انه القانس نفسه ، وعليه اكثر العارفين ، من أهل هذه الديار .

٢ - رأي الامير شكيب أرسلان - رحمه الله تعالى - :

قال - بعد أن أورد كلام الأستاذ الزركلي المتقدم - « في الارتسامات اللطاف » ص ١١٠ - : أفلا يحتمل أن يكونوا أقاموا السوق مرة في القانس ، ومرة في المكان المسمى اليوم بالقهاوي ؟ على أن قول الأخ الزركلي ان القهاوي هي في وادي لية فيه نظر ، لأن القهاوي ليست في وادي لية ، ولا وادي لية هو قريب من هناك . وقال - ص ١١٧ - : إن المسافة من

المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ الي مدينة الطائف هي نحو من ساعة بسير الكهرياء .

٣ - رأي الأستاذ عبد الله فليبي :

قال الدكتور حسين هيكل باشا في كتاب « منزل الوحي » ص ٣٨٠ - :
أما المستر فليبي فيرجح السيل الصغير موقعاً لعكاظ ، وقد وضعها على خريطته في مكان هذا السيل .

٤ - رأي الدكتور حسين هيكل باشا :

قال في « منزل الوحي » ص ٣٨١ - : انفرجت الجبال عن السيل الكبير ، فتخطت السيارة اليه ٠٠٠ واستدرنا بالسيارة فيما وراء الجبل ، ثم اعتدلنا تقطع بطناً من الأرض ٠٠٠ ووقفنا في موضع يقال له « الحُرَّ » من واد يقال له « غَسَلَة » وراء جبل سيمر « دما » وهبطنا من السيارة ، وسرنا خطوات ، ثم وقفنا عند آثار بناء في تخوم الأرض ، مستوية مع سطحها ، يدل وجودها على وجود عمارة قديمة في المكان ، تتألف من ثماني غرف حسنة البناء ، لبست في شيء من منازل البدو . قال صاحبي ، بعد ان زرنا هذه الآثار : أشهد أني أميل الي ترجيح قيام عكاظ بهذا المكان ، وأحسب هذه الغرف الفسيحة كانت مقام سادة السوق ، قلت : لعلك لم تبالغ اذ رجحت - ثم وصف الدكتور البناء ، وقال - انه يرجح عندي قيام عكاظ بهذا المكان ، وان لم يُقِم سنداً علمياً على هذا الترجيح - انتهى باختصار .

وهذه الآراء تدور حول موضعين : السيل الكبير ، المعروف قديماً بقرن المنازل ، في رأي الأستاذ الزركلي والدكتور محمد حسين هيكل ، والسيل الصغير ؛ الواقع بين الطائف وبين السيل الكبير - على مسافة تقرب من ثلاثين كيلومتراً من الطائف - في رأي المستر فليبي . وقد أغرب الأمير شكيب

- رحمه الله - حينما حاول الجمع بين القولين بقوله بإمكان إقامة السوق في الموضعين ،
مرة هنا ، ومرة هناك !

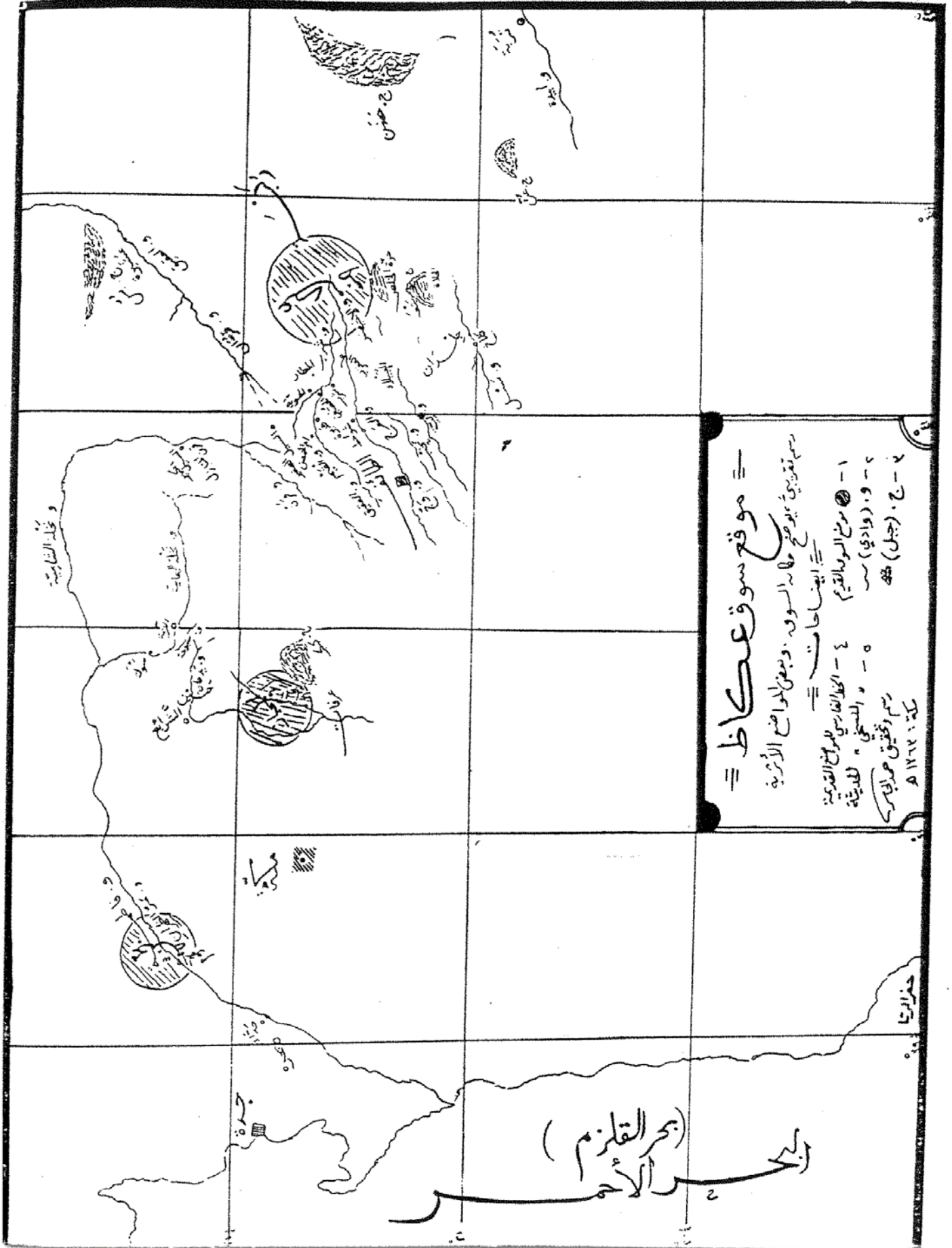
الخاتمة

هذه آراء بعض مشاهير متأخري الكتاب ، وتلك أقوال بعض متقدمي
المؤرخين - من القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن - وللباحث أن يدرسها
وأن يقارن بينها ، لتظهر له الحقيقة ، وليرى أي الآراء أصوب ، وأي الأقوال
أكثر انطباقاً ، وأوضح دلالة ، في تحديد ذلك الموضع التاريخي «عكاظ» .
وقد رسمتُ هذا البحث رسماً مقرباً ، أوضحت فيه موقع عكاظ - في رأيي -
وبيّنتُ بعض الأمكنة التي لا تزال معروفة بأسمائها في هذا العهد .

(الرياض)

صهر الجاسر

www.alukah.net



موقع سوق عكاظ =

- رسم تقريبي يوضح معالم السوق. وبعض المواضع الأثرية
- أينما حافات =
- ١ - موقع السوق القديم
 - ٢ - وادي (وادي) سر
 - ٣ - ح. ج. (جبل) عكاظ
 - ٤ - الخط الفارسي للبرق الكهربائي
 - ٥ - الخط الفارسي للمياه
 - ٦ - الخط الفارسي للغاز
 - ٧ - الخط الفارسي للمياه الجوفية
 - ٨ - الخط الفارسي للمياه السطحية
 - ٩ - الخط الفارسي للمياه السطحية
 - ١٠ - الخط الفارسي للمياه السطحية
- رسم وتوقيع محمد البكري
 ١١٦٤ هـ

إقالةُ عشرةٍ من عَثَرَاتِ الأَقْلَامِ (١)

أو

بَحْثٌ طَرِيفٌ فِي (أَيّ) الشَّرْطِيَّةِ

عددت من (عثرات أقلام) الصحافيين قولهم (لم يصدر عني أيّ تصريح) فقلت إن (أي) لها معان واستعمالات عدة . سردها صاحب (المعني) . واستعمال الكتاب لها في مثل الجملة المذكورة ليس من تلك الاستعمالات في شيء . والأفصح أن يستعاض عن (أي) في مثل تلك الجملة بحرف (ما) التي تفيد المبالغة في الإيهام والتشكيك : فيقال (لم يصدر عني تصريحٌ ما) . على أنه إذا دقق المرء النظر في مثل هذا التركيب وهو قوله : (لم يصدر عني أيّ تصريح) وطريقة إرجاعه الى قواعد النحاة - وجده مختصراً أو مفتوحاً من كلام أطول منه . وكان الكتاب العصريين إنما عالجوا طوله بطريقة الاختزال المستعملة في هذا الزمن :

(أيّ) في التركيب المذكور لا يمكن أن تكون استفهاميةً ولا اسمَ موصول ولا للدلالة على الكمال (زيدٌ رجلٌ أيُّ رجل) ولا وصلةً لنداء الاسم المحلّس بأل (يا أيُّها الرجل) بقي من المعاني الخمسة التي ذكرها (المعني) (أيّ) الشرطية الجازمة . وبعد التأمل وجدت أنه يمكن إرجاع (أي) في مثل قولهم (لم يصدر عني أيّ تصريح) الى (أي) الشرطية هذه . ويمثلون

(١) إحدى محاضرات الأستاذ المغربي التي ألقاها في مجمع قزاد الأول القومي المصري في جلسته المنعقدة في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥١ م وبتلوا ما قاله أعضاء المجمع في موضوعها .

لها بقولهم : (أياً تفعل أفعل) : فأى الشرطية تتركب جملتها من فعلين
 يأتيان بعدها . مجزومين بها . وهي منصوبة بفعل الشرط الذي بعدها . ولها الصدارة
 في جملتها . فأصل (أياً تفعل أفعل) : (تفعل أياً أنت أفعله أنا) والتنوين
 في (أياً) عوض عن محذوف استغني عنه بدلالة المقام : تقديره (أي شيء
 تفعل أفعل) ويُلحقون بأي هذه حرف (ما) فيقولون : أياً ما تفعل أفعل .
 وقال شراح الألفية إن (ما) هذه صلة (أي زائدة) لتأكيد الإيهام في
 (أي) ويريدون بالإيهام التنكير . ويجوز التصريح بالمضاف إليه المحذوف .
 فنقول مثلاً : (أي طعام تأكل آكل) واذ كان (طعام) نكرة مستغرفة
 لجميع أنواع الأطعمة جاز ان يكون المضاف إليه جمعاً فنقول : أي أطعمة
 تأكل آكل . وأي لحوم تأكل آكل . وقد يُعرف المضاف إليه بأل
 الدالة على الجنس أو الاستفراق . فنقول : أي الأطعمة وأي اللحوم .
 وإنما جاز ذلك لوجود الإيهام والتنكير في الأطعمة واللحوم . حتى لو قلت
 أي اللحمين - لحم مملك أو لحم طير - تأكل آكل جاز أيضاً : لأن
 الثنية أو الاثنية لا تمنع التردد والإيهام في المأكول مادام غير معين بذاته :
 إذ أن (ال) في اللحمين للعهد الذهني المفيد للتنكير . على حد ما ذكره
 الشعاع في مثالم المشهور : (انزل السوق واشتر اللحم) وكما يحذف المضاف
 إليه اختصاراً فيقال (أياً تأكل آكل) يحذف جواب الشرط . ففي آية
 (أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) تقديره أي اسم تسموا الله به فهو حسن :
 فقولنا (فهو حسن) جواب الشرط حذف ودل عليه قوله تعالى : « فله الأسماء
 الحسنى » . ومثله آية (أي الأجلين ما قضيت فلا عدوان علي) وهي قراءة
 ذكرها البيضاوي . وقال إن (ما) الواقعة بعد (الأجلين) مزيدة لتأكيد
 الفعل . والقراءة المشهورة (أي الأجلين قضيت) وجواب (أي) في هذه

الآية محذوف قَدَّرَه البيضاوي بقوله (أي الأجلين قضيتَ وفينك إياه) وقد دل على ذلك المحذوف المقدر قوله تعالى (فلا عدوان عليّ) أي لا يعتدي عليّ بطلب الزيادة . ومن هذا القبيل قولُ أبي الطيب المتنبّي في فرسه .
(وأصرعُ أيّ الوحشِ قفسيتهُ به وأنزِلُ عنه مثله حين أركبُ)
(أيّ الوحشِ) شرطية وقفسيتهُ به (أي أتبعتهُ به) فعل الشرط . وجوابه محذوف والتقدير : أيّ الوحشِ أتبعتهُ به أصرعه . فحذفَ جواب الشرط وهو (أصرعه) وأقام دليلاً عليه قوله (أصرع) الواقعة قبل (أيّ) . وبذلك أفقدها حقّها من الصدارة أو يقال إن ضرورة الشعر جوّزت له ذلك .
وما قلناه في بيت أبي الطيب نقوله في بيت أبي تمام :

(هو البحر من أيّ النواحي أتبتّه فلجته المعروف والجود ساحله)
يؤول بقولنا: أيّ النواحي تأته منها تجده أو تلقه بجرّاً . وقد حذف جواب الشرط لدلالة قوله في صدر البيت (هو البحر) عليه وأقام مقامه قوله (فلجته المعروف الخ) والإتيان بالفاء زاد الدلالة دلالة .

تحصل معنا أن جوابَ (أيّ) أعني جواب الشرط يُحذف اختصاراً . وهل يُحذف فعلُ الشرط نفسه يا ترى ؟ لم أظفر له بمثال في كلام فصيح . وهل يُحذفان معاً : أي فعل الشرط وجوابه ؟ لم أظفر له بمثال أيضاً . ولكن ما ذكرته آنفاً من الحذوف والاختزالات التي تقع في تراكيب (أيّ) الشرطية يُهد لي سبيل الجرأة الى القول بأن ما أنكرته على الصحافيين والكتّاب المعاصرين من قولهم: (لم يصدر عنّي أيّ تصريح) هو صحيح على تأويل جعل (أيّ) شرطية حُذف جوابها لدلالة المقام عليه وحذف فعلها الشرطي نفسه أيضاً لدلالة قوله (لم يصدر) الواقع قبلها . ويكون أصل تركيب الجملة هكذا : (أيّ تصريحٍ نسبوه إليّ لم يصدر عنّي) أو فهو باطل . أو فهو مختلّق ونحو ذلك : (أيّ) شرطية

م (٦)

جازمة و (نسبوه إليّ) فعل الشرط حُذِفَ لدلالة السياق عليه و (لم يصدر عني) جواب الشرط حُذِفَ أيضاً لدلالة قوله قبله (لم يصدر عني) عليه كما دل قول المتنبي (وأصرع) علي (أصرعه) الواقع جواباً للشرط في شعره السابق وهو (وأصرعُ أيّ الوحش قفتيه به . وأنزل عنه مثله حين أركب)

هذا ما عندي أيها السادة في تأويل قولهم (لم يصدر عني أي تصریح) وهو كما ترون اختزال عجيب : هُدى اليه الصحافيون والكتاب الذين تأثروا بهم بطول ممارستهم للكتابة . واضطراهم الى السرعة فيها . وليس في هذا الاختزال ما بنافي قواعد النحاة سوى سلب (أيّ) حقها في الصدارة . وربما كان المتنبي في قوله (وأصرعُ أيّ الوحش) هو الذي جرّأ الصحفيين على مثل صنيعه واختزاله . وتكون هذه الجملة أي (أيّ تصریح) في اختزالها على نمط ما ورد في كلام للعرب من الجمل المختزلة أمثال (أيضاً) (فصاعداً) (وهلم جراً) فان أصلها جمل ثم اختزلت .

وبناء على هذا إذا كتَبَ احد الصحافيين في صحيفة له قوله (ولم تُنشر آيةٌ تفاصيل عن محتويات مذكرة وزير خارجية انكلترا) ثم سُئل عن صحة هذا التعبير . كان له أن يجيب بأن (آية) شرطية جازمة لشرطها وجوابها وقد حذِفَ فعل الشرط لدلالة السياق عليه كما حذِفَ جواب الشرط أيضاً لدلالة قوله قبله (ولم تُنشر) ويكون أصل الجملة هكذا : آيةٌ تفاصيل يزعموا نشرها لم تُنشر .

مثال آخر : كنتُ قلتُ في بعض ما كتبته قديماً (وليدعوا الاستغاثة بالبشر . أو آية قوة أخرى من القوى والقدر) فيقال في تأويله (أو آية قوة يستغيثوا بها بدعوها) .

وقال زميلنا الأستاذ ابراهيم مصطفي بك في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر الجمع

(بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٠) وجعل عنوانها في أصول النحو - مانصه (لم نجد في كتاب سيبويه أي رأي نحوي منسوب الى أبي الأسود الدؤلي) تأويله (أي رأي بنسبوه إلى أبي الأسود لم نجده) وهكذا نؤول ما جاء في مصطلحات القانون الدولي التي أقرها المجمع بالأمس مذعرّف لفظ (الوفاق) (Accord) فقال : (هو اصطلاح يُطلق على مختلف الاصطلاحات الدولية في آية صورة كانت) وقوله أيضاً في تعريف (التوفيق) Conciliation (ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون لآية من الدولتين المتنازعتين) .

وهذا الصنيع في اختزال جملة (لم يصدر عني أي تصريح) والإلحاح عليها بالحدف والبتر حتى لم يبق منها سوى أداة الشرط - إن كان يُرضي أتباع النخاة المتسامحين من الصحفيين - فاني لا إخاله يُرضي أتباع الجاحظ من بقاء الزمان وحمأة لغة القرآن ، الذين اذا نطقوا جملة (ولم تنشر أية تفاصيل عن محتويات المذكرة) اكتفوا بقولهم (ولم تنشر تفاصيل عن المذكرة) بحذف (أية) . وإذا أرادوا فضل تأكيد قالوا (لم يُنشر تفصيل ما عن المذكرة) بزيادة (ما) التي تفيد المبالغة في الإيهام والتكبير فيستغنون بها عن (أي) مرة واحدة . انتهى أيها الاخوان ما تجرأت على إلقائه على مسامعكم من هذا الموضوع الذي أرجو أن تنظروا اليه بعين الاهتمام والسلام .

المغربي

وقد اطلع على هذا البحث زميلنا العلامة الفاضل الأستاذ ابراهيم مصطفى بك فكتب بخطه ما يلي : ١٨ يناير سنة ١٩٥٠ .

قرأتُ هذا البحث الدقيق القيم الواسع المحيط :
وأرى تخريج استعمال «أي» في مثل قولهم (لم يصدر مني أي تصريح)
على أنها صفة لنكرة محذوفة أي لم يصدر تصريح أي تصريح . ثم حذف
الموصوف لفهمه ولتكرار لفظه .

وفي كتاب (ارتشاف الضرب) في باب الموصول مانصه :
«أي صفة لنكرة مذكورة نحو (مررت برجل أي رجل) فلا يكون
الا نكرة . وقد جاء حذف موصوفها في قول الشاعر :

(إذا حارب الحجاج أي منافق) يربد (أي الشاعر) منافقاً أي منافق
وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف موصوفها هكذا . وهذا عن أصحابنا
في غاية الندور . وقالوا : فارقت (أي) سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف موصوفها
واقامتها مقامه لا تقول مررتُ بأي رجل) . ٥١ بنصه

والارتشاف موجز جداً وتفصيله في (التذليل والتجميل بشرح التسهيل)
لنفس المؤلف . ومن هذا نرى أن لبعض الاستعمالات أجلاً وإباناً تكثرت ثم تندر .
وقد تندر ثم تكثرت : كما ندر هذا الأسلوب عند المتقدمين حتى أنكروه بعضهم .
ثم شاع وألف حتى جرت به الأقسام بغير استنكار وحتى أبى استنكاره بعض
الكتّاب . وغضب ان يرد عليه .

حاشية :

(١) أعود فأقول إن سبب استنكار النحاة حذف موصوف (أي) أنهم قصرها
على إنباء معنى الكمال في الموصوف وهو موضع تقفي المبالغة فيه بذكر الموصوف - أما غيرهم
فأروا فيها أيضاً معنى الاجها الذي يدل على كمال الدعوى لا كمال الموصوف . والله أعلم .

(٢) وفي الارتشاف أيضاً في نفس الباب :

«ولا تقع أي نكرة موصوفة فلا يجوز مررتُ بأي معجبٍ لك وأجازته الأخفش» .
(٣) وقال :

وهي في الاستفهام والشرط بمنزلة (كل) مع النكرة وبمنزلة (بعض) مع المعرفة تقول :
(أي رجال تقرب أضرهم) و (أي الرجال تقرب أضره) . إبراهيم مصطفي

وانا أجد في هذه المناقشة ظاهرتين - الأولى دقّة حسّ استاذنا المغربي بالأسلوب العربي القديم السليم حتى استنكرت أذنه ما أنكره المتقدمون وما قلّ في كلامهم - الثانية أن الكتّاب المحدثين أخذوا يُطلقون أقلامهم لا يُطيعون لها قيدياً ما استطاعوا البيانَ وما رَسَمَتْ أفاضهم معانيهم - ومن خصائص العربية هذه السعة والمطاوعة حتى عاشت الأجيال . وسارت الأمم . وطغّت بغير جهدٍ على كثيرٍ من اللغات . وفي مرونتها وطواعيتها سرّ خلوها وغلبتها .

ابراهيم مصطفى

وبعد أنت أتم الأستاذ المغربي تلاوة بحثه في (أي) وقرأ الأستاذ ابراهيم مصطفى تعليقه المذكور عليه عاد أعضاء المجمع فأداروا الكلام حول البحث فقال :
الشيخ ابراهيم حمروش : ما ذكره الأستاذ ابراهيم بك مصطفى في توجيه قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) لا ينطبق على قصد المتكلم من هذا التعبير :
 لأن المتكلم لا يقصد انه لم يصدر عنه تصريحٌ كامل بل أراد النبي المطلق .
 أما توجيه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي فهو غير صالح أيضاً : لأن النُحاة لا يجيزون حذف الشرط والجواب إلا مع «ان» واستشهدوا بقول الشاعر :
 (قالت بناتُ العم ياسلمى وإن كان فقيراً معدماً قالت واين)

الأستاذ ابراهيم بك مصطفى : حذفُ الموصوف للدلالة عليه كثير . وقد يكون أقرب من تقدير حذف الشرط والجواب وأما قولهم : ان (أي) يراد بها الكمال فهو تطور في تعبيرهم . انما المراد المبالغة في وصف الشيء أو كمال الموصوف في صفته . ومن هنا جاء معنى الاطلاق في (لم يصدر عني أي تصريح) معناه لم يصدر عني اي كلامٍ يمكن أن يسمى تصريحاً : على أوسع معاني كلمة «التصريح» وأقواها . والنُحاة أنفسهم يتمتعون في استعمال (أي)

موصولة مع انها لم ترد موصولة في القرآن الكريم الا في موضع واحد في قوله تعالى : (ثم لنزغن من كل شعبة أئهم أشد على الرحمن عتبا) وقد عدّها بعض المفسرين استفهامية .

وخلاصة القول : ان هذا الاستعمال (لم يصدر عني أي تصرّيح) صحيح سائغ . واذا اختلفنا في التأويل فلكل رأيه .

الأستاذ عباس محمود العقاد : أضاف الصحفيون الى اللغة العربية تلك العبارة لبدلوا على المعنى الذي تدل عليه كلمة Any في اللغة الانكليزية دون أن يُخلوا بالمعنى الأصلي لكلمة (أي) ولو لم يتكروا هذا التعبير لبقى مقابل كلمة (Any) نافصاً في العربية . وليس من واجبنا أن نترك لغتنا عاجزة عن الدلالة عما تدل عليه اللغات الحيّة الأخرى .

وكانت الساعة الأولى بعد الظهر فأعلن معالي الرئيس انتهاء الجلسة .

المعربي



الموفي في النحو الكوفي

للمسير صدر الدين الكنتراوي الاستاذ بولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

- ٨ -

إنَّ وأخواتها : تنصب المبتدأ ، ذا فاعل كان^(١) ، أو ذا خبر ، موافقاً
كان أو مخالفاً ، نحو : إنَّ زيدا قائم ، وكان قائماً زيد ، وليت عندك عمرو^(٢) .

(١) نحو : إنَّ قائماً زيداً أو الزيدان ، والكوفيون جوزوا رفع الصفة للظاهر
على أنه فاعل لها ، من غير اعتماد على الاستفهام أو النفي ، نحو قائم الزيدان ،
كما يميزون نحو : في الدار الزيدان بعمل الظرف بلا اعتماد ، فقائم وفي الدار
كلاهما مبتدأ عند الكوفيين ، وزيد أو الزيدان فاعل أغنى عن الخبر ، فاذا
دخلت (إنَّ) أو إحدى أخواتها نصبت المبتدأ وبقي الفاعل على حكمه ، وقد
قال المؤلف في تعريف « المبتدأ الموافق ذي الفاعل » (ص ٢٩ من هذه الرسالة
بشرحها) : هو شبه فعل أسند الى فاعله الظاهر ، وكتبت : « المراد بشبه الفعل :

اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والمنسوب » .
(٢) ذكر المؤلف هنا ثلاثة أمثلة ، فالأول : (إنَّ زيدا قائم) مثال لنصب
المبتدأ ذي الخبر الموافق « بانَّ » ، وهو ما كان عين المبتدأ في المعنى ، لأن
معنى (قائم) ذات اتصفت بالقيام ، والمراد بها في هذا المثال ، (زيد) موصوفاً
بالقيام ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، وهذا معنى كون الخبر موافقاً . والثاني
(كأنَّ قائماً زيداً) مثال لنصب المبتدأ الموافق ذي الفاعل (بكأنَّ) (وتقدم
المراد بالموافق) وحكمه حكم الفعل مع فاعله الثالث (ليت عندك عمرو) -

- ٤٠٧ -

«فإن» لتحقيق مضمون الجملة و«أن» لتأويلها بالمصدر^(١) ، و«كأن»
للتشبيه ، و«لكن» للاستدراك^(٢) ، و«ليت» للتمني^(٣) ، و«لعل»
للترجي^(٤) ، ويجزء بها في عقيل^(٥) .

— مثال المحل المخالف ، وهو «عندك» المنصوب «بكأن» . ولا يخفى أن
لفظ «عندك» ليس هو عمرًا في معناه ولذا سموه (المخالف) ، ففي (عندك
عمر) المحل أو المبتدأ الذي هو (عند) منصوب وناصبه معنوي وهو المخالفة ،
فصار بعد دخول (ليت) منصوبًا بعامل لفظي . وقد ينصب «ليت» الجزء من
عند الفراء نحو ليت زيدا قائمًا ، لأنه بمعنى : (تمت) ومفعوله : مضمون الخبر ،
مضافًا إلى الاسم ، نحو : تمت قيام زيد . (انظر ص ٤٥ من هذه الرسالة) .
(١) (إن) هي موضوعة لتأكيد معنى الجملة فقط غير مغيرة لها ، و(أن)
المتوعدة موضوعة لتكون بتأويل مصدر خبرها مضافًا إلى اسمها ، فمعنى بلغني
أن زيدا قائمًا ، بلغني قيام زيد . (٢) هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم
ثبوته ، أو إثبات ما يتوهم نفيه ، قال الأشموني : وليست مركبه على الأصح ،
وقال الكوفيون : مركبة من «لا» و«إن» والكاف الزائدة لا التشبيهية ،
وحذفت الهزمة تخفيفًا . (٣) أي في الممكن والمستحيل نحو : ليت لي مالًا
فأحسن ، وليت الشباب عائد . (٤) الترجي في المحبوب نحو : «لعل الله
يحدث بعد ذلك أمرا» والإشفاق في المكروه ، نحو : (لعله أصابته حرفة
الأدب !) وتكون عندهم للاستفهام نحو : «وما بدريك لعله يزكسى ؟» .
(٥) نحو :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب
وهو الكعب بن سعد العنوي (نحو ٥١٠ هـ) من قصيدة يرثي فيها أبا المغوار ،
واسمه هرم ، والشاهد في قوله : (لعل) حيث جرَّ بها لفظ (أبي) والجرُّ بها
لغة (عقيل) وهو أبو قبيلة .

كما أن «متى» في هذيل حرف إضافة بمعنى «مِن» ^(١) . ولا يدخلن على الفعلية أبداً ، ولها الصدر ^(٢) إلا أن المفتوحة ، لأن الجملة معها كالمفرد ، فتنفتح في محل المفرد ، كالفاعل ، والمفعول ، والمضاف إليه ^(٣) ، والمفعول لغير

(١) كقول أبي ذؤيب الهذلي (توفي نحو ٢٧ هـ) يصف السحاب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لججٍ خضر لهنّ نثيج

ترفعت : تصعدت وارتفعت . لجج : جمع لجة ، وهي معظم الماء . نثيج : صوت عال . والضمير في «شربن» للسحب ، وقد ضمنه معنى رَوَيْنَ فعداة بالباء ، أو هي بنى (مِن) . و (متى) : حرف جر ، ولجج مجرور بها على لغة هذيل ، وهو الشاهد ، وجملة (لهنّ نثيج) صفة للجج ، أو حال من النون في شربن على زعم العرب . والمعنى : قال شراح هذا البيت إنه جاء على عقيدة العرب من أن للسحب خراطيم تدنو من البحر في بعض الأماكن فتأخذ من مائه بصوت مزعج ، ثم تصعد في الجو ، فيعذب ذلك الماء ، وينقل إلى حيث يريد الله فينزل مطراً . ولا مانع من أن يكون ذلك كتابةً عن تصعد الماء بواسطة حرارة الشمس ، وتنقله من جهة إلى أخرى بالهواء ، ثم نزوله على هيئة مطر ، وبذلك يتفق مع ما قرره علماء الطبيعة اهـ من منار السالك قلت : وهذا المعنى الأخير يتفق مع قول القائل :

كالبحر يطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

(٢) كل ما يغير معنى الكلام ويؤثر في مضمونه وكان حرفاً فترتبته الصدر كحروف النفي ، وكحروف التنبيه ، والاستفهام ، والتشبيه ، والتخصيص ، والعرض ، وغير ذلك ، وإنما لزم تصدير المغير الدال على قسم من أقسام الكلام ، ليبنى السامع ذلك الكلام من أول الأمر على ما قصد المتكلم .

(٣) لما كانت «أن المفتوحة» - مع جزئها في تأويل المفرد ، لكونها مصدرية - وجب وقوعها مواقع المفردات كالفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف إليه نحو : بلغني أنك قائم ، أي قيامك ، وعلمت أنك قائم أي علمت قيامك الخ .

قول وجوباً^(١) . وجواب القسم بلا لام ، فيجوز كسرهما ، والفتح أحسن^(٢) ،
وعن الطوال^(٣) ايجاب الفتح . وتكسر في محل الجملة كلابتداء^(٤) ، والصلة^(٥) ،
ومقول القول^(٦) ، وما في خبره لام^(٧) ، وما بعد واو الحال^(٨) .
فان احتملها فوجهان نحو : مَنْ يَأْتِي^(٩) فاني أكرمه^(١٠) . ولا تخفف

(١) إذا قصد بالقول الاعتقاد الشامل للظن والعلم ، فإنها تفتح إذن كما
تفتح بعد الظن والعلم ، وأما إذا قصد بالقول الحكاية ، فإنها تكسر لأنه
ابتداء للكلام المحكي . (٢) في الرضي الذي لخصنا عنه ما تقدم ، وكذا
كسرت في جواب القسم ، لأنه جملة لا محالة نحو : بالله إنك قائم ، (قال)
وقد تفتح إن في جواب القسم عند المبرد والكوفيين إذا لم يكن في خبرها
اللام ، ولعل ذلك لتأويلهم لها بالمفرد ، أي أقسمت بالله على قيامك .
(٣) محمد بن أحمد بن عبد الله الطوال النحوي من اهل الكوفة ، أحد أصحاب
الكسائي ، حدث عن الأصمعي ، وقدم بغداد ، وسمع منه ابو عمرو الدوري
المقري ، قال ثعلب : وكان حاذقاً بالقاء العربية ، مات سنة ٢٣٤ هـ . (بغية
الوعاة ص ٢٠) من الطبعة الأولى .

(٤) نحو : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » .

(٥) في التنزيل : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة »

(أي ثقلها) . (٦) نحو : « قال : إني عبد الله » .

(٧) نحو : « إن ربهم بهم يومئذ خبير » . (٨) نحو : « كما أخرجك

ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » .

(٩) في الأصل تأتي ، وهو سهو .

(١٠) فالكسر على جعل « إن » ومعموليها جملة أوجب بها الشرط فكأنه

قال : مَنْ يَأْتِي فهو مكرم ، والفتح على جعل « أن » وصلتها مصدراً مبتدأ ،

والظير محذوف ، والتقدير : من يأتي فإكرامه موجود ، ومما جاء بالوجهين قوله —

- المكسورة^(١) ، وقد تخفف المفتوحة ، فتلغى ، فتدخل الاسمىة والفعلىة^(٢) .
وأكثر دخولها على الفعلية بالسین أو سوف ، أو قد ، أو لا ، أو إن ، أو لن ، أو لم^(٣) .

تعالى « كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عسى منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح ، فإنه غفور رحيم » قرئ (فإنه غفور رحيم) بالفتح ، والكسر ، فالكسر على جعلها جملة جواباً لمن ، والفتح على جعل أن وصلتها مصدراً مبتدأ خبره محذوف والتقدير : (فالغفران جزاؤه) .

(١) في الرضى : ولا يجوز عند الكوفيين إعمال التخففة . وفي المعنى :
فان دخلت على الاسمىة جاز إعمالها خلافاً للكوفيين وتعقبه الأمير فقال :
وظاهره أن خلافهم في الإعمال مع الموافقة على التخففة ، مع أنهم يجعلونها نافية ،
ولام الفرق بمعنى « إلا » وفي منار السالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يميزون
تخفيف (إن) المكسورة ، ويؤولون ما ورد من ذلك على أن (إن) نافية ،
واللام إيجابية بمعنى (إلا) . (٢) كتب الأستاذ الغلابي رحمه الله :
إذا خفقت (أن) المفتوحة ، فذهب سبويه والكوفيين أنها مهملة لا تعمل
شياء ، لا في ظاهر ولا مضر ، وتدخل حينئذ على الجمل الاسمىة والفعلىة ،
وهذا ما يظهر أنه الحق ، وهو مذهب لا تكلف فيه ، والجمهور يرون أنها عاملة
كالمشدة ، غير أن اسمها يجب أن يكون ضميراً محذوفاً ، ولا يجوز إظهاره
إلا في الضرورة ، وفي قولم ما فيه من التكلف اه باختصار قليل (ج ٢/٣٢٧)
من جامع الدروس العربية .

(٣) إذا وقع خبر (أن) الخففة جملة اسمىة لم يحتج الى فاصل ، فنقول :
« علمت أن زيد قائم » وإن وقع خبرها جملة فعلية ، فان كان الفعل غير
متصرف لم يؤت بفاصل نحو : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » « وأن
يكون عسى قد اقرب أجلمم » وإن كان منصرفاً دعاء لم يفصل أيضاً ، -

ويحسُن دخولها بلاهاً أيضاً كقراءة ابن محيصن «لمن أراد أن يتم الرضاعة»^(١)
وقول الشاعر :

أن تقرأن على أسماء ويحكما مني السلام وأن لا تشعرا أحدا^(٢)

— نحو: «والخامسة (أن غَضِبَ اللهُ عليها) في قراءة من قرأ بصيغة الماضي، وإن لم يكن دعاء فقال قوم يجب أن يفصل بينهما إلا قليلاً، وقالت فرقة منهم ابن مالك: يجوز الفصل وتركه، والأحسن الفصل، قال في الألفية: وإن يكن فعل ولم يكن دعا ولم يكن تصرفه ممنوعاً فالأحسن الفصل بقد أو نفي أو تنفيس، أو لو، وقليل ذكر (لو) ونحن الآن نتبع ترتيب «الموفي» في ذكر الشواهد على ما ذكر من الحروف الفاصلة نحو: «علم أن سيكون منكم مرضى» .

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتي كل ما قدرا
«ونعلم أن قد صدقتنا» «أفلا يرون أن لا يترجع إليهم قولاً»
«أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه» «أيحسب أن لم يره أحد» ولم أر
مثالاً للفصل بان وإنما رأيت بمن . قائل الرضي: أو بأداة الشرط نحو:
(علمت أن من يضربك أضربه) أو يرُبُّ نحو: (علمت أن رُبَّ خصم لي)
على مذهب الكوفيين اهـ .

(١) يرفع «بتم» . (٢) (وبح) كلمة ترحم، وقبل البيت:
باصحابي فدت نفسي نفوسكم . وحيثما كنتما لاقيتما رشداً
أن تحملا حاجة لي خف محملها . ونصنعا نعمة عندي بها وبدا
وهذه الأبيات لا يعرف لها قائل . في المغني: وزعم الكوفيون أن (أن) هذه هي المخففة من الثقيلة، شذت اتصالها بالفعل، وقوله هذا، بناء على أن الفصل واجب، والذي في الخلاصة أنه أحسن «فقط» (وفي الأمير) وقال مؤلفنا هنا: وأكثر دخولها على الفعلية بالسین الخ أي ومن الأقل، دخولها —

ويجوز رفع المعطوف على منصوبها نحو : إن زيداً وعمرو قائمان ، خلافاً
للفراء فيما ظهر إعرابه ، دون ما خفي ، كقولنا : إن هذا وزيد قائمان (١) .
وقلَّ إعمال « كأن » مخففة كقوله :
ويوماً توافينا بوجه مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم (٢)

— على الفعلية من دون فصل ، ومنه قوله :

علموا أن يؤمّلون بخادوا قبل أن يسألوا بأعظم سؤال
والمعنى : علموا أن الناس يرجون معروفهم ، فلم يخيبوا رجاءهم ، ولم يحوجوهم
إلى السؤال بل تكرموا عليهم قبل أن يسألوهم شيئاً بأعظم سؤال . والشاهد
في قوله : (علموا أن يؤمّلون) حيث استعمل فيه (أن) المخففة من الثقيلة ،
ولم يفصل بين (أن) وجملة الخبر بفاصل من الفواصل المعروفة ، وهي ملغاة
بالتخفيف لا عمل لها عند الكوفيين كما علمت .

(١) ذهب الفراء إلى أنه لا يجوز رفع المعطوف على منصوبها قبل تمام الخبر
إلا فيما لم يظهر فيه عمل (إن) بأن يكون مبنياً كمثل المؤلف ، أو مقصوراً
نحو : إن الفتى وسعيد متعلمان ، ومثل ذلك لو خفي إعراب المعطوف نحو :
إن محمداً ويحيى مسافران ، وانظر ما كتبناه في رفع تابع منصوب إن وأخواتها
(ص ٤٥ و ٤٦) من هذه الرسالة .

(٢) هو لكعب بن أرقم البشكري بذكر امرأته ويمدحها . توافينا - تأتينا .
مقسم - مُحَسَّن ، يقال : رجل قسم الوجه ، أي جميله . تعطو - تتناول
إلى الشجر لتناول منه . وارق - مورك . السلم - شجر ذو شوكة ، واحدته سلمة .
والمعنى ان هذه المحبوبة تأتي الينا في بعض الأحيان بوجه نضر كأنها في قدها
واعتدالها وخفتها ظبية تتناول الشجر الخصوص . قال في الأوضح : يروي (أي البيت)
بالرفع على حذف الاسم أي كأنها (ظبية) وبالنصب على حذف الخبر ، أي كأن
ظبية هذه المرأة ، وبالجر على أن الأصل كظبية ، وزيد « أن » بينها .

وقوله : **صدر مشرق النحر كأن نديه حقان** ^(١)
وقد روي بالرفع ، وهو الأشهر ^(٢) .

حروف العطف ^(٣) : الواو للجمع بلا ترتيب ^(٤) ، وقال بعضهم ترتب ، وهو منقول
عن الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وعن الشيخين أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ،
وأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . وقيل إن النحاة اتفقوا على أنها لا ترتب ^(٥) .

(١) البيت لم ينسب الى قائل معين ، وهو أحد الأبيات الخمسين التي
لم يعرف قائلها كما قال البغدادي في خزائنه . النحر - أعلى الصدر أو موضع
الفلادة . حقان تثنية حقة بعد حذف التاء ، وهي الوعاء المعروف . والمعنى أن
هذا الصدر مضيء عنقه ، كأن الثديين فيه حقان (من العاج) في الاستدارة
والاكتناز ونديه اسم (كأن) وحقان خبر .

(٢) أشرنا في البيت الأول الى وجوه الأعراب الثلاثة ، وعلى رواية الرفع
في البيت الثاني ، يكون اسم (كأن) ضمير الشأن ، وندياه مبتدأ وحقان خبر ،
والجملة خبر كأن . وهذه الرواية أشهر كما قال المصنف .

(٣) أي عطف النسق ، من نسقت الكلام ؛ إذا عطفت بعضه على بعض ،
فالمعنى العطف الواقع في الكلام المنسوق بعضه على بعض ، بتوسط أحد الأحرف
الآتية ذكرها . (٤) أي الاجتماع في الحكم بلا تقييد بمعية أو زمان
أو مكان ، لا دليل في الواو على شيء منها . (٥) هذا مذهب جميع البصريين
والكوفيين ونقل بعضهم عن الفراء والكسائي وثعلب والرعي وابن درستويه
- وبه قال بعض الفقهاء - أنها للترتيب . دليل الجمهور ، استعمالها فيما يستحيل
فيه الترتيب نحو : المال بين زيد وعمرو ، وتخاصم زيد وعمرو ، وفي التنزيل :
« واسجدوا واركعوا » (انظر الرضي ٣/٣٣٨) .

والفاء للتعقيب^(١)، وثم للتراخي^(٢)، وأو وأم لواحد منهم^(٣)، وتجيء أولاً لضراب^(٤)،

- (١) هو أن يكون المعطوف بها منصلاً بلا مهلة، والتعقيب في كل شيء بحسبه نحو: «أمانته فأقبره» ونحو: «فوكزه مومي ففضى عليه» .
 (٢) نحو: «أمانته فأقبره ثم إذا شاء أنشره» .
 (٣) أي لامتناع الجمع بين المتعاطفين في التخيير كقوله: تزوج هنداً أو أختها .
 وبعد الخبر للشك نحو: «لبثنا يوماً أو بعض يوم» أو للإيهام نحو: «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» والمعنى أن أحد الفريقين منا ومنكم لثابت له أحد الأمرين كونه على هدى أو كونه في ضلال مبين، وأخرج الكلام في صورة الاحتمال - مع أن من وحد الله وعبده فهو على هدى، وأن من عبد غيره فهو في ضلال مبين - توطئاً لنفس المخاطب ليكون أقبل لما يلقى إليه . (منار السالك) . (٤) في الأوضح: وللإضراب عند الكوفيين وأبي علي، حكى الفراء: اذهب الى زيد، أو دع ذلك فلا تبرح اليوم (فأو للإضراب بمعنى بل) . وبمعنى (الواو) عند الكوفيين، وذلك عند أمن التباس كقوله:

قوم إذا سمعوا الصريح رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع
 وهو حميد بن ثور (في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي أنه مات في حدود
 السبعين للهجرة، وفي معجم الأدباء لياقوت: مات حميد بن ثور في خلافة
 عثمان رضي الله عنه ج ١١ ص ١٣) أو سافع: آخذ بناصية فرسه . و (أو)
 هنا بمعنى الواو، لأن البينية من المعاني النسبية التي لا يعطف فيها إلا بالواو -
 وهو الشاهد . والمعنى أن هؤلاء القوم أولو شجاعة ونجدة، إذا سمعوا
 صوت المستغيث أمرعوا لإجابته، فبعضهم بلاجم الأمهار، والآخر يأخذ
 بتواصيها (المنار) .

ومثلها الواو مع إمتا^(١) ، و (بل) لا يجاب النبي ، فلا يعطف بها على التثنية^(٢) .
و (لكن) للاستدراك^(٣) . و (أم) المتصلة لا تفارق المحزة

(١) عبارة الكافية : وأو وإما وأم لأحد الأمرين مبعهاً ، وأم المتصلة لازمة لمحزة الاستفهام يليها أحد المستويين ، والآخر المحزة بعد ثبوت أحدهما لطلب التعيين ، ومن ثم لم يجوز : أرأيت زبدآ أم عمرآ ، ومن ثم كان جوابها بالنعميين دون نعم أو لا . والمنقطعة ك «بل» الخ .

وفي الشرح : اعلم أن الاحرف الثلاثة لأحد الأمرين أو أحد الأمور ، وأو وإما العاطفتان في المعنى سواء ، إلا في شيء واحد ، وهو أن (أو) يجيء بمعنى إلى أو إلا ، وتجيء (أو) للاضراب بمعنى (بل) .

وفي الأوضح وشرحه : وزعم أكثر النحويين أن (إمتا) الثانية في الطلب والخبر - نحو : تزوج إمتا هندآ وإمتا أختها ، وجاء في إمتا زيد وإمتا عمرو - بمنزلة (أو) في العطف والمعنى ، فتكون بعد الطلب للتخيير والإباحة ، وبعد الخبر للشك والإيهام ، وللتفصيل نحو : «إمتا شاكرآ وإمتا كفورآ» والواو زائدة لازمة . (٢) قال المغني : ومنع الكوفيون أن يعطف بها بعد غير النبي وشبيهه ، قال هشام : محال : ضربت زبدآ ، بل إياك اه ومنعهم ذلك مع سعة روايتهم دليل على قلته . وفي ابن عقيل : يعطف ببل في النبي والنهي فتكون كلكن في أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو : (ما قام زيد بل عمرو ، ولا تضرب زبدآ بل عمرآ) .

(٣) وفي ابن عقيل عند قول الناظم : « وأول (لكن) نفيآ أو نهيآ » البيت أي : إنما يعطف (بلكن) بعد النبي ، نحو : (ما ضربت زبدآ لكن عمرآ) وبعد النهي نحو : (لا تضرب زبدآ لكن عمرآ) وفي الرضي : أجاز الكوفيون مجيء لكن العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضاً نحو : جاءني زيد لكن عمرو ، حملاً على (بل) .

الاستفهامية^(١) ، والمتقطعة للإضراب مع الشك في الثاني^(٢) ، و (إِما) يجب تكرارها خلافاً للفراء^(٣) . وقد يجيء (أو) بمعنى الواو كقوله^(٤) :
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي
ومن العواطف : (أي) للتفسير^(٥) و (إلا) المثبتة^(٦) .

- (١) تقدم قول الكافية (وأم المتصلة لازمة لمهزة الاستفهام) الخ وفي المغني :
أم المتصلة التي تستحق الجواب إنما تجاب بالتعيين لأنها سؤال عنه ، فإذا قيل :
أزيد عندك أم عمرو ، قيل في الجواب زيد أو قيل عمرو ، ولا يقال (لا) ولا نعم .
(٢) قال الفراء يقولون : هل لك قبيلنا حتى أم أنت رجل ظالم ؟ يريدون
بل أنت . ونقل ابن الشجري عن جميع البصريين أنها تبدأ بمعنى بل والمهزة
جميعاً ، وإن الكوفيين خالفوه في ذلك قال ابن هشام في المغني : والذي يظهر
لي قولهم ، إذ المعنى في «أم جعلوا الله شركاء» ليس على الاستفهام (١ / ٤٠) .
(٣) في المغني : «إما» يبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله
من شك أو غيره ، ولذلك وجب تكرارها في غير نذور . . . وقد يستغنى عن
(إما) الثانية بذكر ما يعني عنها نحو : إما أن تتكلم بخير وإلا فاسكت .
. . . وقد يستغنى عن الأولى لفظاً ، وبعد أن أورد شاهدين لذلك (قال) :
والفراء يقبسه فيجيز : زيد يقوم وإما يقعد ، كما يجوز أو يقعد .
(٤) أي جرير ، يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وقبلة :
ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدتهم إلا بعداد
والعيال جمع عيال بوزن سيد ، وهو من عاله بعوله : إذا قام بمصالحه ، وبرمت :
تعبت وزناً ومعنى . وقد أورده في المغني شاهداً للكوفيين على أن (أو) تأتي
للإضراب ، (١ / ٥٨) . (٥) تقول : عندي عسجد أي ذهب ، وغضنفر أي أسد .
(٦) وهي عندهم بمنزلة (لا) العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها ، لكن
ذاك منفي بعد إيجاب ، وهذا موجب بعد نفي .

م (٧)

حروف الشرط : إن للمستقبل غالباً ، وإن دخلت على الماضي ^(١) .
وقد تفتح همزتها ^(٢) ولو للماضي ^(٣)

(١) يعني سواء دخلت على المضارع أو الماضي ، وكذا (لو) للمضي على أيهما دخلت قال تعالى : « لو يطيعكم في كثير من الأمر » هذا وضعها كما مرَّ في الظروف المبنيّة (٣ / ٣٦٣ رضي) . وقد تستعمل (إن) الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه : إمّا على أن يجوز المتكلم وقوع الجزاء ولا وقوعه فيه ، كقوله تعالى : « إن كان قبضه فُدًّ من قبْلِ فصدقت » وإمّا على القطع بعدمه فيه ، وذلك المعنى الموضوع له (لو) كقوله تعالى : « إن كنت قلنتُ فقد علمته » وإمّا على القطع بوجوده نحو : زيد وان كان فقيراً لكنه كريم ، وأنت وإن غضبت حلّيم ، واستعمالها في الماضي على خلاف وضعها انظر رضي (٢ / ١٠٣) . (٢) في المعنى : (تنبيه) وقد ذكر (لأن) معان أربعة آخر ، (أحدها) الشرطية كما في المكسورة ، واليه ذهب الكوفيون وفي رضي : والكوفيون جوزوا جزمه بأن المفتوحة الشرطية .

(٣) ذكر المعنى لها أوجهاً خمسة (أحدها) : لو المستعملة في نحو : لو جاءني لأكرمته ، وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها الشرطية ، أعنى عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها . (والثاني) : تقييد الشرطية بالزمن الماضي (قال) : وبهذا الوجه وما يذكّر بعده فارقت (إن) فإن تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ، ولهذا قالوا الشرط (بإن) سابق على الشرط (بلو) وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي ، عكس ما ينوهم المتبدئون ، ألا ترى أنك تقول : إن جئتني غداً أكرمتك ، فإذا انقضى الغد ولم يجي قلت : لو جئتني أمس أكرمتك . (الثالث) : الامتناع ، وقد اختلف النحاة في افادتها له ، وكيفية افادتها إياه على ثلاثة أقوال الخ (١ / ٦٨٩) .

وكثير اللام في جوابها^(١) . وتدخلان على الفعلية والاسمية^(٢) . و «أما»
لتفصيل ما أجمل في الذكر أو الذهن^(٣) .

حروف الاستفهام : الهمزة وهل ، ولها الصدر^(٤) . والهمزة تكون
للإنكار^(٥) . ويجوز حذفها كقوله « شعيت بن سهم أم شعيت بن منقر^(٦) »

(١) نحو: «لو نشاء لجمعناه حطاما» ومن تجرده منها: «لو نشاء جعلناه أجاجا» .
(٢) أما دخولها على الجملة الفعلية فقد رأيت أمثله ههنا ، وأما دخولها على
الاسمية فقد تقدم بحثه في آخر الكلام على (الجوازم) عند قول المؤلف :
ويجوز أن يكون الشرط جملة اسمية نحو: «إن امرؤ هلك» . (ص ١٢٢) .
(٣) نحو قولك : هؤلاء فضلاء : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فأديب ،
وأما بشر فطيب . (٤) وتدخلات على الجملة الاسمية والفعلية نحو :
(أخالد شجاع أم سعيد) ؟ ونحو : أتعلّم خليل ؟ وهل عليّ مجتهد ؟ وهل
قرأت النحو ؟ (٥) نحو : «أتعبدون ما تنحتون» «أغير الله تدعون» ؟
(٦) أوله : «لعمري ما أدري وإن كنت دارياً» والهمزة مقدّرة قبل
(أم) المتصلة ، والأصل : أشعيت بالهمز في أوله ، والنون في آخره ، فحذفها
للضرورة ، والمعنى : ما أدري أي النسبين هو الصحيح . وقوله : شعيت ، مصغر ،
ومنقر (بوزن درهم) من تميم ، ينتسب له شعيت . وأما سهم ، فمن قيس . أراد
الشاعر هجوم بأنهم أديب في نسبهم اختلاط . والبيت للأسود بن يعفر
(مات نحو سنة ٢٢ قبل هـ) . ومثله قول المتنبي :

أحيا - وأيسر ما قاسبت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا
أحيا فعل مضارع ، والأصل أحيا ، فحذفت همزة الاستفهام ، والواو للحال ،
والمعنى : التعجب من حياته بقول : كيف أحيا وأقل شيء قاسبته قد قتل غيري ؟
وذكر المعنى له شواهد أخرى (٢/٣٦١) .

- ويحسن دخولها على الاسم مع وجود الفعل ، بخلاف هل في الكل ^(١) .
- حروف الإيجاب : (بَلَى) للإيجاب النفي ^(٢) ، و (نعم) للتقرير ^(٣) ،
و (إي) كنعم ، ويخص القسم المحذوف فعله ^(٤) ، وأجل ^(٥) ،

(١) لاشك أن الهمزة أعم تصرفاً ، أي إنها تستعمل فيما لم تستعمل فيه (هل) ، ويراجع بحثها في الرضي ، وقال النخاعة ان (هل) أصلها (قد) وهي من لوازم الأفعال ، فان رأت فعلاً في حيزها مالت إليه ودخلت عليه ، كما قال الشاعر الغزل :

مليحة عشقت ظلياً حوى حورا فمذ رأته سعت فوراً لخدمته
ك(هل) إذا مارأت فعلاً بجيئتها حنت إليه ولا ترضى بفرقتة !

- (٢) أي إن (بلى) تنقض النفي المتقدم سواء كان ذلك النفي مجرداً ، نحو : بلى في جواب من قال : ما قام زيد . أي بلى قد قام ، أو كان ذلك النفي مقروناً باستفهام ، فهي إذن لنقض النفي الذي بعد ذلك الاستفهام كقوله تعالى : «ألسن يربكم قالوا بلى» أي بلى أنت ربنا . قال في المعني : واعلم أن تسمية الاستفهام في الآية تقريراً عبارة جماعة ، ومرادهم أنه تقرير بما بعد النفي .
- (٣) أي مقررة لما سبقها ، أي مثبتة ، سواء كان موجباً نحو (نعم) في جواب من قال : قام زيد ، أي نعم قام . أو منفيًا نحو : نعم في جواب من قال ما قام زيد أي نعم ما قام .

(٤) نحو : «إي وربِّي إنه لحق» وفعل القسم محذوف .

- (٥) جواب مثل نعم ، فيكون تصديقاً للمخبر ، وإعلاماً للمستخبر ، ووعداً للطالب ، نحو : حضر الأستاذ . وهل حضر الأستاذ؟ ونحو : «اجتهد في دروسك» فنقول : أجل في ذلك كله كما تقول : نعم .

وجير^(١) ، وإن^(٢) .

حروف النفي : لم ولما ، لقب المضارع ماضياً^(٣) ؛ ولا ، للماضي المتكرر^(٤) ، والمستقبل^(٥) ، وورد للحال^(٦) ، ولن ، للاستقبال بلا تأييد

(١) في الرضي : ويقوم مقام الجملة القسمية أيضاً بعض حروف التصديق ، وهو (جير) بمعنى : نعم ، والجامع أن التصديق ، تو كيد وتوثيق ، كالفَسَم ، تقول : جبر لأفعلن كأنك قلت : نعم والله لأفعلن ، وهي مبنية على الكسر ، وقد يفتح ككيف .

(٢) نحو قوله :

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنّه

وهي حرف جواب بمعنى : نعم ، والبيت لعبد الله بن قيس الرقيات ، مدح عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير ، ولقب بالرقيات لأنه تغزل بنسوة اسم كلمن (رقية) وقبله :

بكر العواذل في الصَّبوح بلمني وألومهنه

وبكر بالتخفيف : خاص بأول النهار . والهاء هاء السكت .

(٣) أي قلب معنى الفعل المضارع للمضي ، ويجوز انقطاع نفي منفي «لم» ، ومن ثمّ جاز : لم يكن ثمّ كان ، وامتنع في (لما) وقد تقدم هذا في بحث الجوازم (ص ١١٨) من هذه الرسالة .

(٤) نحو : «فلا صدّق ولا صلّى» .

(٥) في المغني : وإن كان مادخلت عليه فعلاً مضارعاً لم يجب تكرارها ، نحو : «لا يجب الله الجهر بالسوء» . (٦) ويتخلص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك جاء زيد لا يتكلم ، بالاتفاق ، مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال . اهـ

ولا تأكيداً^(١) . وما وإن ، للعال ، والماضي القريب منها^(٢) .

حروف الاستثناء : إلا ، واللام ، بعد (إن) النافية ، كقوله :

ثلت بينك إن قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد^(٣)

ونصب « كلاً » في قراءة « وإن كلاً » لما ليؤفيناهم ، بتقدير :

(أرى)^(٤) .

محمد بن إبراهيم البيطار

(يتبع)

(١) تقدم مثل هذا للمؤلف في نواصب الفعل المضارع . (ص ١١٤)

(٢) نحو : « وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله » « وإن أدري لعله فتنة

لكم ومتاع إلى حين » « إن أردنا إلا الحسنى » .

(٣) قائلة هذا القول هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل صحابية مباحة

مهاجرة ، أخت سعيد أحد العشرة . تخاطب به عمرو بن جرموز قاتل الزبير

ابن العوام ، في وقعة الجمل (أو قبلها) . ثلت : بيست وجمدت والقصد :

الدوام على القاتل . حلت : وجبت . والمعنى : أشل الله بدك أيها القاتل ، لأنك

قتلت مسلماً ، ووجبت عليك عقوبة متعمد القتل : « ومن يقتل مؤمناً

متعمداً . . . الآية) .

وفي منار المسالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يجيزون تخفيف (إن)

المكسورة ، ويؤولون ما ورد من ذلك على أن (إن) نافية ، واللام إيجابية

بمعنى (إلا) .

(٤) الكوفيون يجعلون (إن) نافية ، ويقدرن فعلاً ، أي : وما أرى

كلاً إلا ليؤفيناهم ، و (ما) صلة ، أو نكرة بمعنى حقا .

الجزء الثاني

من

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

للشيخ نعم الدين الفزري

— ٤ —

- ص ٢٠٠ : ٢٢ — مسيباً يابه
- الصواب : «متسبياً بباب البريد» شذ (٢٢٢)
- ص ٢٠١ : ٢ — واليك مرجعنا بأمر حازم
- الصواب : «بأمر حازم» شذ (٢٢٢)
- ص ٢٠١ : ٤ — وعصيت في تمهيد اسرٍ وحدتي
- الصواب : «وعصيت في جهل الشباب وجدتي» شذ (٢٢٢)
- ص ٢٠١ : ٥ — آنس مبيتي في القبور وجدتي
- الصواب : «آنس مبيتي في القبور ووجدتي» شذ (٢٢٣)
- ص ٢٠١ : ١٤ — علي بن محمد بن عز الدين بن محمد الصغير
- الصواب : «علي بن احمد بن محمد بن» شذ (٢٢٣) ولأن امم محمد بعد علي قد مضى . ثم أتى بعد ذلك : علي بن احمد كما في الاسم الذي قبله وبعده . ومع ذلك فهذا النسب مشوش حتى في الشذرات
- ص ٢٠١ : ١٦ — بمكتب العدل
- الصواب : «بمكتب العدل» شذ (٢٢٣) أي الشهود العدل
- ص ٢٠٢ : ٩ — الى خلفاء الشيخ . وعلق عليها : في الاصل خلفات
- الصواب : «الى خلفاء الشيخ» والخلفاء جمع خليفة . والخليفة عند الصوفية

— ٤٢٣ —

- هو الذي يخلف شيخه بعد موته بالارشاد ويكون ذلك باجازه من الشيخ قبل وفاته .
- ص ٢٠٣ : ٥ - وذكر الشعراوي في طبقاته .
 - الصواب : « وذكره الشعراوي في طبقاته » .
 - ص ٢٠٣ : ١٥ - قال فتكفل علي بذلك .
 - الصواب : « قال فتقل علي ذلك » .
 - ص ٢٠٤ : ١٤ - واذا تألف بارق من بارق .
 - الصواب : « واذا تألق بارق من بارق » .
 - ص ٢٠٥ : ٢ - ابن ماجه .
 - الصواب : « ابن ماجه » بالهاء .
 - ص ٢٠٥ : ١١ - من طريق بحر التيسير .
 - الصواب : « من طريق التيسير » .
 - ص ٢٠٦ : ٢١ - في مدرسة تغم بمحلة ميدان الحصا .
 - الصواب : « في مدرسة تم بمحلة ميدان الحصا » .
 - ص ٢٠٦ : ٢٢ - واستجاره وأجاره .
 - الصواب : « واستجاره فأجاره » .
 - ص ٢٠٧ : ١٨ - من مستهام فقاده الى الأجل .
 - الصواب : « من مستهام فقاده الى الأجل » شذ (٢١٨) .
 - ص ٢٠٧ : ٢٣ - ان تقطعوا بالغرام الود ما حيلي .
 - الصواب : « ان تقطعوا بانصرام الود ما حيلي » شذ (٢١٨) .
 - ص ٢٠٨ : ١ - ما حلت عنكم ولا أبني لكم بدلاً .
 - الصواب : « ولا أبني بكم بدلاً » شذ (٢١٨) .
 - ص ٢٠٩ : ١٩ - ناصحاً صحباً وعشرة .
 - الصواب : « ناصحاً صحباً وعثرة » وعثرته أهل بيته .
 - ص ٢٠٩ : ٢٠ - ضعف الفي الف مرة .

- الصواب : « ضعف الفِ الفَ مرة »
- ص ٢١٠ : ٢٧ - فحصل
- الصواب : « حصل »
- ص ٢١١ : ١٨ - تكلم بعض الناس
- الصواب : « كالم بعض الناس »
- ص ٢١٢ : ١١ - فجاءنا
- الصواب : « فجاء »
- ص ٢١٣ : ٢٦ - وجرحوه بما هو بريء منه
- الصواب : « وجرحوه » بالتخفيف لا بالتشديد
- ص ٢١٤ : ١٩ - ارتكبه ديون
- الصواب : « ارتكبته ديون »
- ص ٢١٤ : ٢٠ - قيل شاهد سيدي اسحاق وانا شاهد نوراً طلعت من عنده
- الصواب : « قيل شاهد سيدي اسحاق وشاهد نوراً طلعت من عنده »
- ص ٢١٩ : ٥ - فخط بين السورين
- الصواب : « بخط بين السورين »
- ص ٢١٩ : ٦ - يقول الفسقية التي فيها اودك تسع احداً
- الصواب : « يقول : الفسقية التي فيها اولادك تسع احداً » بدليل قوله
- ص (١٩ - ٢٠) فليس معه احد مدفوناً سوى ولدي محمد الاول واخوه عبد الرحمن فانها دفنا قبله بسنتين
- ص ٢٢٠ : ٨ - يباب الخرق
- الصواب : « يباب الخلق » محلاة معروفة بهذا الاسم الى عصرنا . هذا بالقاهرة
- وفيها دار الكتب المصرية ومطبعتها
- ص ٢٢٠ : ١٨ - لا تجد احداً من الخلق يشكون له
- الصواب : « لا يجد احداً من الخلق يشكو له »

- ص ٢٢٣ : ١٩ - يتكسب بالشهادة بمرکز العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي .
 الصواب : « يتكسب بالشهادة بمكتب العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي »
 وتقدم الكلام عنه .
- ص ٢٢٤ : ١٧ - وقد زادت شيوخه في الحديث بالسمع والاجازة والاجازة
 الخاصة على مئتين وبالاجازة العامة دون السماع والاجازة الخاصة على مئة .
 الصواب : « وقد زادت شيوخه بالسمع على مئتين ، وبالاجازة العامة دون
 السماع ، والاجازة الخاصة على مئة » . شذ (٢١٩) وهي أحسن انسجاماً .
 ص ٢٢٥ : ١٥ - يضارب به برجل . وعلق عليها : في الاصل : رجلاً .
 الصواب : « يضارب به رجلاً » كما في الأصل ، ويضارب بمعنى يشارك ،
 والمضاربة نوع من الشركة لها أحكام وحدود في كتب الفقه .
 ص ٢٢٥ : ١٦ - ومختصر تنبيه الوسنان .
 الصواب : « ومختصره تنبيه الوسنان » شذ (٢١٩) .
 ص ٢٢٥ : ١٧ - معني الراهب في روض الطالب .
 الصواب : « معني الراهب في روض الطالب » شذ (٢١٩) .
 ص ٢٢٥ : ٢١ - المنتخب المرضي من مسند الشافعي . علق عليها : كذا في
 الاصل ولعل الضاد محرفة عن عين .
 الصواب ما في الأصل كما في شذ (٢١٩) والمعنى واضح منسجم .
 ص ٢٢٦ : ٢ - النبذة الزكية فيما يتعلق بذكر انطاكية .
 الصواب : « النبذة الزاكية فيما يتعلق بذكر انطاكية » شذ (٢٢٠) .
 ص ٢٢٧ : ١٥ - معروف الجبرتي امام الصابونية .
 الصواب : « معروف الجبرتي امام الصابونية » شذ (٢٦٦) والجبرتي
 نسبة الى جبرت وهي بلاد الزبلع في الحبشة وتعرف في عصرنا بالصومال .
 ومن شرط المدرسة الصابونية ان يكون إمامها من الطائفة الجبرتية . انظر
 تنبيه الطالب للنعمي ص ١٤ .

- ص ٢٢٢ : ٢٤ - طارح التكيف
- الصواب : « طارحاً للتكلف » شذ (٢٩٧)
- ص ٢٢٨ : ٢١ - لا يكتر بالدنيا
- الصواب : « لا يكترث بالدنيا »
- ص ٢٢٩ : ٩ - المقيم بالزفوية
- الصواب : « المقيم بالبرقوية » (شذ ٢٦٩)
- ص ٢٢٩ : ١٠ - وكان يقول مذهب الشافعي نصب عينه
- الصواب : « وكانت تقول مذهب الشافعي نصب عينيه » شذ (٢٦٩)
- ص ٢٣٠ : ٢٥ - حتى جازاه وأوقع بصره عليه
- الصواب : « حتى حازاه وأوقع بصره عليه »
- ص ٢٣٢ : ٨ - يخظر لي ان طالما
- الصواب : « يخظر لي انه طالما »
- ص ٢٣٣ : ١٠ و ١١ - فقرأ عليه المختصر والمطول مع حاشية الشريف الى باب النصر
- الصواب : « ٠٠٠ الى باب القصر » والمختصر والمطول شرحان للسمد التفتازاني على متن التلخيص للقزويني وهو في علم المعاني والبيان والبديع • وباب القصر ٤ هو أحد أبواب علم المعاني
- ص ٢٣٥ : ١٧ - باحدى الثاني
- الصواب : « باحدى الثمان »
- ص ٢٣٦ : ١٨ - احدى الثاني
- الصواب : « احدى الثمان »
- ص ٢٣٧ : ٤ - وبني داراً للفقراء
- الصواب : « وبني داراً للقراء » شذ (٢٦٣)

- ص ٢٣٩ : ٥ - ابن علاء الدين الاقصراني .
- الصواب : « علاء الدين الاقصراني » شذ (٢٢٣) .
- ص ٢٣٩ : ١٠ - اعانة العارض .
- الصواب : « اعانة الفارض » شذ (٢٢٣) .
- ص ٢٣٩ : ١٤ - أصله من نهران .
- الصواب : « أصله من هراة » شذ (٢٢٩) .
- ص ٢٤٠ : ٣ - بمكتب العدل .
- الصواب : « بمكتب العدول » .
- ص ٢٤١ : ١٨ - الشيخ علي بيك .
- الصواب : « الشيخ علي البيري » تقدم ذكره قبل ثلاثة أسطر في الكواكب .
- ص ٢٤١ : ٢٣ - محملها رجل جاهل .
- الصواب : « فحملها رجل جاهل » .
- ص ٢٤٢ : ١٥ - قدم حلب فرأس بها وتزوج .
- الصواب : « قدم حلب فراش بها وتزوج » أي صار صاحب مال ورياش .
- ص ٢٤٣ : ٥ - كان فلكة مغزل .
- الصواب : « كأنه فلكه مغزل » .
- ص ٢٤٣ : ١٠ - قاس فميم زائدة .
- الصواب : « قاس بميم زائدة » .
- ص ٢٤٥ : ٩ - مبارك عبد الله الحبشي .
- الصواب : « مبارك بن عبد الله الحبشي » شذ (٢٥٩) .
- ص ٢٤٥ : ١٠ - ان المبرد .
- الصواب : « ان ابن المبرد » وهو الجمال ابن عبد الهادي تقدم الكلام عنه .
- ص ٢٤٥ : ١٣ - وأقام على الأتراك وقاموا عليه .

- الصواب : « وقام على الأتراك ، وقاموا عليه » شذ (٢٥٩)
- ص ٢٤٦ : ٢٠ - تعلقه بكلامه وحمله
- الصواب : « تعلقه بكلامه وحله » شذ (٣٢٢)
- ص ٢٤٦ : ٢٢ - كلام المسنوي
- الصواب : « كلام المثنوي » كتاب شعر صوفي باللغة الفارسية مشهور جداً
- كل قطعة منه بيتان ولذلك سمي المثنوي من قولهم : مثنى مثنى
- ص ٢٤٧ : ١ - خطيب حمام الورد
- الصواب : « خطيب جامع الورد » والخطيب يكون للجامع لا للحمام
- ص ٢٤٧ : ٢٤ - دخل تيمورلنك
- الصواب : « دخلها تيمورلنك » شذ (٢٣٥)
- ص ٢٤٨ - باحدى الثاني • مكررة ثلاث مرات
- الصواب : « باحدى الثمان »
- ص ٢٤٩ : ١٨ - اصحاب الحديث من الاولياء
- الصواب : « اصحاب الجذب من الأولياء »
- ص ٢٤٩ : ١٨ - لا بد من وقوع فيه
- الصواب : « لا بد من وقوع فتنة »
- ص ٢٤٩ : ١٨ - وكان اذا صب عليها انقطعت الفتنة
- الصواب : « وكان اذا صب ماء عليها انقطعت الفتنة »
- ص ٢٥٠ : ١٨ - كان بدور في أسواق دمشق
- الصواب : المترجم مجذوب مصري لبس في ترجمته ما يدل على أنه
- دخل دمشق ولعل الصواب ان يكون « في أسواق دسوق » وهي احدى
- المدن المصرية
- ص ٢٥١ : ١٤ - المولى التكشاري
- الصواب : « المولى النكساري » الشقائق على هامش تاريخ ابن خلكان ٦١٢/١

- وهو كذلك في نسخة خطية من الشقائق محفوظة في الظاهرية رقم ٢٨ ق ٧١ .
- ص ٢٥١ : ١٦ — باحدى الثاني .
- الصواب : « باحدى الثمان » .
- ص ٢٥١ : ١٦ — ابن مغيشا .
- الصواب : « ابن مغنيسا » المصدر السابق .
- ص ٢٥١ : ١٩ — احدى الثاني .
- الصواب : « احدى الثمان » .
- ص ٢٥١ : ٢٣ — مصطفى الحافي ٠٠٠ المشهور بجافي .
- الصواب : « مصطفى جاك ٠٠٠٠ المشهور بجاك » الشقائق (٥٦/٢) المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بالظاهرية رقم (٢٨) تاريخ ، ورقة (٨٣) .
- ص ٢٥٢ : ٢ — بيلدة تبرة .
- الصواب : « بيلدة تبرة » الشقائق (٥٦/٢) شذ (٢٠٥) .
- ص ٢٥٢ : ٨ — ثمان سنوات .
- الصواب : « ثمان سنوات » .
- ص ٢٥٤ : ١٤ — قوله تعالى (قل من يحيي العظام وهي رميم) .
- الصواب : « قوله تعالى (قال من يحيي العظام وهي رميم) » آية قرآنية
- سورة يس آية (٧٨) .
- ص ٢٥٦ : ٨ — ثم بمدرسة مناشير بالمدينة المذكورة .
- الصواب : « ثم بمدرسة مناستر ٠٠٠٠٠ » ومناستر مدينة مشهورة كانت احدى الولايات العثمانية ، ثم سلخت عنها لدول البلقان .
- ص ٢٥٦ : ٩ — باحدى الثاني .
- الصواب : « باحدى الثمان » .
- ص ٢٦٠ : ١٦ — نائب الشام كان بردي العرابي . وعلق على لفظ « بردي » ما يلي : كذا في الأصل ولعلها مؤذن .

- الصواب: «نائب الشام جاب بردي الغزالي» راجع ترجمته في شذرات الذهب ٨/١٥٠ واعلام الوري لابن طولون مخطوط في مكتبتنا ومصور في المجمع العلمي العربي . وولاية دمشق في عهد المماليك لدهمان تحت الطبع .
- ص ٢٦٢ : ٧ - احدى الثاني .
- الصواب: «احدى الثمان» .
- ص ٢٦٢ : ١٨ - وولي قضاء صفد ثم خربت ولم يذهب اليها .
- الصواب: «وولي قضاء صفد ثم خربت ولم يذهب اليها» . أي الى خربت و هي احدى بلاد الجمهورية التركية وتسمى في عصرنا «خربوط» والتصحيح من شذ (٢٥٣) والمعنى على نص الكواكب المغلوط ان مدينة صفد خربت في عصر المترجم وليس ذلك بصحيح .
- ص ٢٦٢ : ١٩ و ٢٠ - ثم لما تولى نازع ولديه في العرفة يحيى بن كريم الدين .
- الصواب: «ثم لما توفي نازع ولديه في العزبة يحيى بن كريم الدين» يعني ان المترجم كان تولى المدرسة العزبة الكائنة بالشرف الأعلى المتقدم ذكرها قبل سطر . فلما توفي المترجم أراد ولده أن يتوليها فجاء يحيى ابن كريم الدين ونازعها على التولية والتصحيح من شذ (٢٥٣) .
- ص ٢٦٢ : ٢٠ - وأثبت انه من ورثة واقفها .
- الصواب: «من ورثة واقفها» كما وردت قبل سطر وكما في شذ (٢٥٣) .
- ص ٢٦٣ : ٤ و ٥ - احدى الثاني .
- الصواب: «احدى الثمان» .
- ص ٢٦٣ : ٦ - طارحاً للتكليف .
- الصواب: «طارحاً للتكليف» .
- ص ٢٦٣ : ٩ - في معالجة المرض بدار الشفاء .
- الصواب: «في معالجة المرضى بدار الشفاء» .

وهذا آخر ما توفقنا الى تصحيحه في الجزء الثاني من الكواكب السائرة ،
وقد فاتني نحو نصف ما ذكرته مما لم أهد الى صوابه . ولو وُجِدَت
الطبقات الوسطى للشعراني وكتاب در الحب لابن الحنبلي لأمكن
تصحيح كثير من نصوصه واني أرجح أن نسخة مكتبة الأزهر أصح من
النسختين اللتين طبع عنها الدكتور جبور هذا الكتاب فعسى أن يقوم أحد
فضلاء المصريين بمقابلة نسخة مطبوعة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالأزهر
ثم ينشر الخلافات التي يجدها بين النسختين ، فيضيف جهوداً جديدة ويسدي بدأ
مشكورة الى العلماء والمحققين .

محمد أحمد رهمان

www.alukah.net

التعريف والنقد

في أصول النحو

تأليف سعيد الأفغاني

هذا الكتاب دراسات في اللغة والنحو ، يقع في قرابة مئتي صفحة من القطع الكبير . يقول الأستاذ المؤلف في مقدمته : « ٠٠٠ حرصت في هذه المباحث ، على أن يتزود الطلاب بمادة صالحة فهمها مع مساندة النظرة التاريخية على قدر الامكان ، وراعت فيها مستواهم وحاجتهم ، ولولا ذلك لوجب طي بعض مانشر ، ونشر بعض ما طوي ، فكثير من القضايا مررت بها قطعاً لأنه بحث بأسهاب في دراساتهم السابقة ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وأنا موقن ، بان بين هذه المحاضرات ، والكمال الذي أتصوره لها مراحل فساحاً ، وان عمل الانسان أبدأ في حاجة الى الاصلاح ، وان الخطوات العلمية لا تسد الا بالنقد يسهم فيه كل من عن له رأي صالح ، وانه ما من أحد يصغر عن أن ينقد ، كما انه ما من أحد يكبر عن أن ينقد ، ولست أضمن من عملي هذا أكثر من أني بذلت فيه جهداً باخلاص ٠٠٠ »

وبعد المقدمة الممتعة الرصينة ، التي نقلنا هذه القطعة منها . يحرص المؤلف موضوعه في أربعة بحوث :

- ١ - الاحتجاج في اللغة . يتناول فيه : اللحن وتتابعه - العلوم التي يحتاج لها - من يحتاج بكلامه ، وما يحتاج به من الكلام - بعض قواعد في الاحتجاج .
- ٢ - القياس . وفيه : تاريخ القياس - القياسيون - أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي - أحكام القياس - العصريون والقياس ٠٠٠

- ٣ - الاشتقاق . معناه - أنواعه - أحكام تتعلق به - كتب الاشتقاق . . .
- ٤ - الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة . لمحة تاريخية - نشأة الخلاف - الفروق بين المذهبين - نموذج من خلافهم - أثر العصبية في الخلاف - خلط المذهبين في بغداد والأندلس والشام .
- وقد رقتي الأستاذ المؤلف موضوعاته حقها ، من البحث والاستشهاد ، وعزز ذلك بالرأي الناضج . من ذلك قوله في بحث الاشتقاق :
- « لا بد من إعادة النظر في باب الاشتقاق ، والوقوف على استعداد اللغة العربية فيه ، والافادة من صرائرها وطواعيتها وكنورها المعطلة ، لتأبي حاجات عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر ، فنطرد (?) من قواعده ما كان غير مطرد ، ونكمل المواد الناقصة في المعاجم ، ونشتق من الأعيان وغيرها كل ما تدعو اليه حاجة » .
- وتبين قيمة الكتاب ، مما نوهنا به ، وتقننا عنه ، فذكر للمؤلف غيرته على لغته ، وخدمته لها بما يضعه فيها من الكتب القيمة .



الوسائل الى مسامرة الأوائل

تأليف جلال الدين السيوطي

- حقق هذا الكتاب الدكتور أسعد طلس . وطُبع في مطبعة النجاح ببغداد .
- قدم المحقق للكتاب مقدمة ذكر فيها من ألف في هذا الموضوع . ثم وصف المخطوطة التي اعتمدها عليها ، ثم ترجم للمؤلف ونوه برغبته في التأليف واكتثاره منه ، وما قيل فيه وفي تأليفه .
- والمؤلف قليل التدقيق في كثير مما يكتب ، كثير النقل عن غيره ، وفي هذا الكتاب الدليل الواضح على هذين الأمرين .

وعلى الرغم من ان المحقق قال في المقدمة : « ولم أعثر في الكتاب على أخطاء املائية او لغوية الا نادراً جداً مما لا يكاد يخلو منه كتاب » فقد كانت الأغلط كثيرة منها المطبعية ، وقد أشار الى بعضها في ملحق خاص في آخر الكتاب ، ومنها ما قد يكون في أصل المخطوطة ، وكان يسهل تصحيحها ولا سيما الأبيات الشعرية .
من ذلك :

وهذه تاسعة المثين قد أتت لا يخلف الهادي ما فيها وعد
ولعل صوابه :

وهذه تاسعة المثين قد أتت ولا يخلف ما فيها وعد
ليستقيم الوزن والقافية .

ومنه : وكسونا البيت الذي حرم الله ملا معصباً وثوباً بروداً
وهو بيت لم يستقم وزنه ولا مبناه . فلا يصح أن تنعت :
« الملاء بـ » « المعصب » و « الثوب » بـ « البرود » .
وقد يكون البيت :

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاءً وأثوباً وبروداً
أو ما يشبه ذلك ، وأثوب بالهمزة او التسهيل : جمع ثوب . بقي من أين جيء
بـ « المعصب » ؟ ولو كان « ملاءً عُصباً » لصح المعنى فـ « العصب » على ما في
اللسان : « برود يئنية يُعصب غزلها أي يُجمع ويشد ثم يُصبغ وينسج فيأتي
موشياً لبقاً ، ما عُصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل هي برود مخططة »
غير أن نعت « الثوب » بـ « البرود » لا وجه له ، ومع جمعه لا يستقيم الوزن .
ثم اطلعنا على هذا البيت في كتاب شمس العلوم « تأليف نشوان بن سعيد
الحميري » وروايته :

وكسونا البيت الحرام من العصب ملاءً معضداً وبروداً
وكذلك في الصفحة ال ٤٣ .

أولُ عبدٍ عمل الحاملاً أخزاه ربي عاجلاً آجلاً

ولعل الصواب «عاجلاً وآجلاً» ليكون الصدر والعجز من بحر واحد ،
وأغرب من هذا كله ما جاء في الصفحة ال ٦٤ :

ألا هل أتى رسول الله إلا اني حميت صحابي بصدور نبلي
ولعل صوابه :

الا هل أتى رسول الله اني
بوصل المحمزة في أتى شذوذاً .
وفي الصفحة ال ١٢٢ :

عاجتها امرداً حتى اذا شبت ولم تحسن ابا جادها
والصواب :

عاجتها أمرد حتى اذا
فبستقيم الوزن ونخرج من تجوز لا وجه له .
الى أمثال لها ، كان يمكن تداركها بالاصلاح .



اليزيديون في حاضرهم وماضيهم تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني

رسالة من انقطع الكبير تقع في مئة صفحة وتزيد . طبعت طبعاً متقناً في
مطبعة العرفان بصيدا : « تبحث في منشأ الطائفة اليزيدية وتتكلم عن معتقداتها
الدينية . وعن الشيخ عدي بن مسافر الذي تنتمي اليه . وعن مرقده وصفة
هذا المرقد ، وتضم بين دفتيها نصوص كتبها المقدسة لديها . وتصف شرائعها
الطقسية وسننها الاجتماعية وأعيادها الرسمية . . . »

ثم يقول المؤلف في مقدمة رسالته : «اليزيدية احدى الطوائف التي تكتمت
في اظهار معتقداتها تكتماً شديداً ، يعي المؤرخ ان بعطي عنها نتيجة قطعية ،
أو ان يصورها تصويراً نهائياً . . . لهذا نرى الباحثين في هذا المذهب يختلفون

في نتائج تدقيقاتهم وتبعا بهم اختلافاً يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن الى ما وصلت اليه تحقيقاته ، ولا مؤمن بما وصلت اليه بد البحث ايماناً علمياً .
 وهذا الذي نقلناه ، يعطي فكرة عن موضوع الرسالة ، وأسلوب المؤلف فيها .
 وقد زار السيد الحسيني اليزيديين في ديارهم ، وقابل أمراءهم ، واختلط بهم .
 واطلع على ما استطاع أن يطلع عليه من أمرهم وخفياهم . ثم اعتمد على من سبقه من الذين ألفوا في هذا الموضوع ، فجاءت رسالته وافية ، يقف المطلع عليها ، على كثير من الحقائق التي تكسفت عن بعض حقيقة اليزيديين ، في مختلف نواحي حياتهم : الدينية والاجتماعية .

وزين المؤلف رسالته بعدد من الرسوم ، يستعين بها القاري على تعرف كثير من شؤون القوم وأحوالهم : العامة والخاصة . وهو جهد يشكر المؤلف عليه .

عارف النكري



تاريخ سورية

للدكتور فيليب حتي

صدر بالانكليزية في لندن (شركة مكملان) ١٩٥١

لم تكن مهمة الدكتور فيليب حتي حين تصدى لوضع تاريخ شامل لسورية في حدودها الطبيعية منذ العصر الحجري حتى العصر الحاضر من المهمات السهلة .
 فالبلاد السورية من جبال طورس حتى حدود مصر قد شاهدت مواكب الحضارة قبل أن يبدأ التاريخ ، وتاريخها هو بالواقع صورة مصغرة لتاريخ العالم المتقدم .
 ففي العصور القديمة نشأت فيها حضارة الأقوام المعروفة بالسامية وتأثرت بحضارات الشعوب الفاتحة التي أتت من البلاد المجاورة في وادي النيل والرافدين والأناضول وكذلك من بلاد اليونان والرومان ، كما أنها أثرت في بدورها في هذه الشعوب .

وقبل الفتوحات الاسلامية عرفت سورية دولاً عربية كانت لها حضارتها المشهورة ثم لم تلبث أن أصبحت في العصور الوسطى وفي ظل الدولة الاسلامية قلب امبراطورية عربية واسعة وساهمت في نشر الحضارة حتى بعد زوال وحدة هذه الامبراطورية . وعندما حكمتها الدويلات الأعجمية التي قامت في مصر ثم أتاها العثمانيون وحكموها في العصور الحديثة لم تفقد البلاد شخصيتها ولا لغتها وظلت محتفظة بهذه الشخصية الى أن قامت فيها الدول العربية الحديثة بالرغم من ظروف الاستعمار الصعبة التي أحاطت بها .

هذه المراحل المختلفة في تاريخ البلاد مع مرافقها من أحداث سياسية وما ظهر أثناءها من مظاهر في الحضارة تحتاج معالجتها الى جهود كبيرة وذلك لأن تاريخ سورية يقترن من جهة بتاريخ عدد كبير من الدول التي احتكت بها ، ومن جهة أخرى لأن الوثائق المتعلقة بعصور هذا التاريخ مكتوبة بلغات متعددة . وقد تصدى الدكتور حتي لوضع تاريخ سورية بما فيه من صعوبة وتعقيد كما تصدى منذ نحو خمسة عشر عاماً لوضع تاريخ العرب ، وكان توفيقه في كتابه الجديد الذي بين يدينا لا يقل عن توفيقه في كتابه الأول . وقد أصبح المجلد الضخم الذي كتبه عن تاريخ العرب مرجع الأوساط الأجنبية في هذا الموضوع حتى طبع خمس طبعات وترجم الى معظم اللغات الحديثة . والمجلد الجديد في تاريخ سورية قد اضطر الدكتور حتي الى الاطلاع على المراجع الأصلية المتعلقة بعصور التاريخ السوري وكتابات أكابر العلماء المختصين بتاريخ كل فترة فضلاً عن اطلاعه على نتائج الحفريات التي أجراها العلماء الأثريون في طول البلاد وعرضها في القرن الأخير وخاصة منذ ثلاثين سنة . والدكتور حتي وهو أستاذ اللغات السامية وآدابها في جامعة برنستون ومن العلماء العالميين في الدراسات العربية الاسلامية لم يتردد في طرق أبواب الدراسات الكلاسيكية والتعرف الى كبار كتاب اليونان واللاتين والى مراجعة أبحاث العلماء الأثريين

لكي يكتب فصول تاريخه السوري . والكتاب الجديد لا يقتصر على التاريخ السياسي للبلاد السورية فحسب وإنما نعتبر ان من أهم مزاياه أنه لا يترك ناحية من نواحي الحضارة الا ويصفها ويعالجها . فهو يكتب عن نظام الحكم والمجتمع في كل فترة وفي كل عصر ، و يبحث عن الأحوال الاقتصادية والعمرائية ، ويتناول الحياة الفكرية والفنية ، وفي جميع هذه الأبحاث يرجع الى المصادر الرئيسية الأصلية ويشير اليها في الهوامش ويقارنها بما توصل اليه علماء الآثار والمؤرخون المعاصرون . ومن مزايا الكتاب انه فضلاً عن تعريف القارئ بأهم المراجع التي استقى منها او اعتمد عليها بعطيه صورة حية عن حضارة البلاد بالرسم والكثيرة التي يتضمنها ، ويسهل على القارئ فهم أوضاع البلاد السياسية بوضع نحو ثلاثين خريطة تاريخية تتعلق بمختلف العصور وجداول للحكام والملوك في مختلف فترات التاريخ السوري . ويزيد في قيمة الكتاب ذلك الفهرس العام الذي يحوي في خمسين صفحة تقريباً أسماء جميع الأعلام والأماكن والمواضيع الواردة في التاريخ حتى أسماء المؤلفات والمؤلفين الذين ورد ذكرهم في الهوامش . ولقد رأى الدكتور حتي ان تاريخ سورية على شدة أهميته لفهم كثير من مشاكل العصر الحاضر ولمعرفة مصادر حضارة الأمم الغربية لم تدون حوادثه وتطوراتها ، ولم تعالج مواضيعه ونواحيه المختلفة في مجلد واحد ، بالرغم من وجود عشرات المؤلفات عن تاريخ كل فترة منه وعن كل شعب من شعوبه وكل ناحية من نواحيه . فقام ينسق هذه المعلومات وينقدها ويأخذ المناسب منها وينسج منها تاريخاً موحداً متسلسلاً لسورية ضمن حدودها الطبيعية وفي مختلف عصورها . ولقد نجح بعرضه للحوادث ووصفه لنواحي الحياة بلغة سهلة واضحة وبعبارة بعيدة عن التعقيد والابهام . وما يلفت النظر روايته المبسطة لتاريخ سورية القديم بالرغم مما فيه من مشكلات تاريخية وعموض في بعض النواحي . فهو يروي بدون أن يدخل في مناقشات تثقل الموضوع وتمعده ، على أنه يشير الى المراجع

الأصلية والحديثية في الهوامش لمن يريد زيادة البحث والاطلاع . والكتاب يقع في أكثر من سبعمائة صفحة عدا الفهارس ويقسم خمسة أقسام . ففي القسم الأول يصف جغرافية سورية وطبقاتها وتاريخها في العصور الحجرية . وفي القسم الثاني يتناول تاريخ الأقسام السامية التي استوطنت سورية وعلاقتها بالدول المجاورة حتى نهاية العصر الفارسي ، ثم في القسم الثالث يتناول العصر اليوناني الروماني وظهور النصرانية ودول العرب قبل الاسلام . وهذه الأقسام الثلاثة التي تحوي تاريخ سورية انقديم تؤلف القسم الأكبر من الكتاب وتقع في أربعمائة صفحة . ثم في القسم الرابع يتناول تاريخ سورية في زمن الحكم العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني ويتضمن نحو ٢٦٠ صفحة . والقسم الخامس والأخير يبدأ بالحكم العثماني وينتهي في مطلع النهضة القومية العربية الحديثة ويحوي نحو خمسين صفحة ، فهو جانب لم يوفه المؤلف حقه وكنا نتعنى ان يوصل تاريخ سورية الى العصر الحاضر وان يتكلم عن مراحل الحكم العثماني في هذه البلاد بنفس التفصيل الذي تكلم فيه عن سورية في العصر اليوناني الروماني أو العصر العربي ؛ على انه يقول ان هذه المرحلة الأخيرة من حياة البلاد تحتاج الى من يضع تاريخها ولا ندري اذا كان سيتحفظنا يوماً بهذا التاريخ . وفيما سوى هذه الناحية وكذلك مجاراته في بعض الأحيان لآراء مؤرخي الافرنج في أمور تتعلق بأخلاق السكان مثل الآراء التي أوردها عن سكان النطاكية وأخلاقهم (ص ٣٠٢) وكان قد أوردها الألماني مومسن والانكليزي جين - أقول فيما سوى هذه الأمور فإن الكتاب هو حقاً تحفة رائعة من العلم وحسن التنسيق والاحاطة مع جمال وبساطة في الأسلوب وغزارة في الوسائل الايضاحية . وهو ماثرة اخرى تضم الى سائر مآثر الدكتور حني الذي عمل في سبيل تعريف شعوب أدربا وأميركا بالعرب وحضارتهم وبالاسلام وتراثه الشيء الكثير وها هو يعرفهم اليوم بسورية والسوريين ومآثرهم خلال العصور .

جورج حداد

وحي الأمومة

مما أجمع عليه أهل الفكر والرأي أن رسالة الأمومة هي أبقى رسالة للمرأة على وجه الدهر ، وكتاب «وحي الأمومة» الذي ألفته السيدة الفاضلة روز عطا الله شحنة سجل حافل بالشواهد على هذه الرسالة الإنسانية الخالدة ، وإذا كانت المؤلفة الحصيصة قد أودعت مؤلفها هذا نفحات قلبها وخواطر نفسها التي فاضت بجنان الأم وإخلاص الزوجة ووعي المرأة الراجحة فإنما كان ذلك منها عن إحساس ومراس ومرانة وعبان .

لقد لمع اسم المؤلفة في أفق النهضة النسائية العربية منذ ربع قرن فكانت من الرائدات السابقات في بلاد الشام إلى إرسال الدعوة وبذل المعونة في سبيل المرأة وتعليمها وتوجيهها وجهة سليمة قوية .

وكتابها هذا بما فيه من حرية الفكر وحرارة القول يخفق بالدعوة الى تقدير المرأة وإنصافها ، فهو جهاد سنين وصور تطور وتحرر ، خرجت فيه المؤلفة من غمار معركة المجتمع كما يخرج البطل المظفر وييده علم خفاق ، وقد اشتملت صفحات الكتاب على موضوعات متنوعة تتصل ب حياة البيت والمجتمع ، وتمس الأهداف التي تسعى المرأة الى تحقيقها متعلمةً ومنتقفةً ، وفي مقدمتها اسعاف الانسانية البائسة ، والتخفيف من وبل المحرومين والكادحين ، وهذه المساعي أول ما ينبغي أن يظهر من المرأة الواعية ، فن أولى منها بالعطف على الانسانية الشقية التي أضلها الجهل والحرمان ، وأصابها التشربد والهوان ؟

وقد أضافت المؤلفة الفاضلة إلى هذا البر الاجتماعي دعوة وطنية خالصة كانت فيها ملحمة بالحفاظ على منتوج البلاد ، وما يبقي على حياتها الاقتصادية ، فكانت في هذا المذهب ذات رأي سديد بأن يكون ما تقيمه المرأة في منزلها من بناء الاقتصاد هو الدعامة الأولى لاقتصاد الوطن واستقلاله وكرامته .

وإنه لحتى أن نجد منبع الحياة الروحية لكل وطن من المنزل ، وقد ضل السبيل أكثر المصلحين حين جهلوا هذه الناحية أو أغفلوها ، ولقد كان من تعاليم الإغريق والإسلام أن يكون البيت أساس البنيان الوطني الكبير ، فلا عجب إذا دعت مؤلفة « وحي الأمومة » الى الاقتصاد المنزلي وجعل الأسرة منبعاً للفضائل الروحية والاجتماعية ، فانها أم قبل كل شيء ، ولذلك كانت موفقة في تسمية كتابها الذي نتم عليها ، وكان وحيه داعياً الى نشاطها المعهود .

وما أعجب بشيء مثل إعجابي بالمؤلفات والمؤلفين الذين لا يكونون غرباء عن موضوعاتهم وآثارهم ، إذ يجعلونها سرايا صادقة تعكس شخصهم ونفوسهم وتطبع آراءهم وشعورهم دون تزويد أو تمويه .

وما أمقت شيئاً مثل مقتي لأقلام يكون أصحابها في وادٍ وآثارهم في وادٍ . . . أما صياغة المؤلفة وأداؤها - وهل عني بمعنى العلمي قبل كل شيء ، بمنزلة الفصحى وتقد الركافة وإحكام التعبير - فانها لا يشفان عن صبر على أساليب الأقدمين من كتابنا والمحدثين الذين جروا على غرارهم وجمعوا بين الطرافة والجزالة في التعبير والأداء ، لقد أرسلت المؤلفة قلمها على سجيبتها وطاقتها دون أن تطبعه بطابع أدبي أو أسلوب ، وقد غلب عليها بيان صحافي وخطابي اكتسبته من عنايتها بالصحافة وإبثارها مخاطبة الجمهور ، وهي تشكر وتقدر لما صنعت من أجل جنسها وقومها ، لا سيما وأمثالها قليل في رائدات الجيل الحديث .

وداد سطا كيني

(القاهرة)



Miniatures de la Renaissance

تأليف (Anselmo M. Albaredo M. B.) أمين مكتبة الفاتيكان ،
ويحتوي هذا الكتاب على (٩٢) صفحة من القطع المتوسط و (٣٣) صورة
طبع في مدينة الفاتيكان سنة ١٩٥٠ .

احتفلت مدينة الفاتيكان في السنة الماضية بذكرى مرور خمسمائة عام على
انشاء المكتبة البابوية التي أسسها سنة ١٤٥٠ البابا تقولا الخامس ، وكان
موالماً يجمع المخطوطات لاسيما الكتب الدينية ، وقد بذل آلاف الدنانير لمن
يأتيه بنسخة آرامية من انجيل متى . ولم يكن في المقر البابوي لما ارتقى كرسيه
الا (٣٥٠) مخطوطة يونانية وعربية وهذا كل ما خلفه له أسلافه خلال عشرة
قرون . وقد نشط بدوره يجمع نفائس المخطوطات حتى بلغ عددها في عهده
نحو (١٥٠٠) مخطوطة بذل في سبيل اقتنائها جهوداً طيبة وأثماناً مغرية .
وهذه المجموعة هي نواة مكتبة الفاتيكان العظيمة التي تحوي اليوم (٦٠٠٠٠)
مخطوطة و (٧٠٠٠٠٠) كتاب مطبوع و (١٠٠٠٠٠٠) صورة وخريطة
وآلاف الاضبارات والوثائق التاريخية .

وقد نظمت المكتبة البابوية لهذه المناسبة معرضاً فنياً عرضت فيه نفائس
مخطوطاتها المصورة بريشة أبرع المصورين خلال خمسمائة عام أي من القرن
الثالث عشر الى القرن السابع عشر . وقد وضع المؤلف هذا الدليل ليستعين به
الجمهور على تفهم المعروضات ، وصف فيه أهم التصاوير المعروضة وصفاً علمياً دقيقاً
وزين كتابه هذا برسوم أروعها . وافتتح الدليل بمقدمة عن تاريخ هذه المكتبة
وتطورها . وشرح فيها الغاية من هذا المعرض وفوائده الفنية والثقافية .

جعفر الحسني

www.alukah.net

مصادر الدراسة الأدبية

وفقاً لمناهج التعليم الرسمية

صفحات الكتاب مع المقدمة والمشمول ٣٩٢ : مطبعة دير الخالص ، صيدا ، لبنان

لمؤلف هذا الكتاب السيد يوسف أسعد داغر عدة كتب قيمة بعضها باللغة الفرنسية وبعضها باللغة العربية وقد أورد المؤلف ثبوتاً بها في نهاية الكتاب .

والمؤلف أمين دار الكتب اللبنانية وخرج معهد المكتبات في باريز وعضو اللجنة الوطنية اللبنانية للأونسكو . وأعتقد أن كتابه هذا جزء من كتابه : « دليل الأعراب الى علم الكتب وفن المكاتب » .

موضوع الكتاب ايراد مصادر الدراسة الأدبية للمواضيع العامة والشخصيات الأدبية والعلمية المدرجة في كل من مناهج البكالوريا في لبنان وسوريا والعراق ومصر .

بأني المؤلف بكلمة مختصرة مكثفة في الموضوع العام ثم يورد مصادر دراسته ، وترجمة موجزة للشخصية الأدبية ثم يورد مصادر دراستها .

وفي الكتاب ١٢٥ بحثاً ، تسعة منها في مواضيع عامة ، والباقي في الشخصيات الأدبية ، وهو يرشد الى عشرين الف مصدر للبحث والدراسة الادبيين .

خطته في الحديث عن الأديب أن يترجم له ترجمة واقعية موضوعية يذكر فيها :

أ - أهم مراحل حياة الأديب . ب - مؤلفاته المطبوعة . ج - المصادر والمراجع العربية العديدة التي تتعلق به . وتشمل في أوسع الحالات :

آ - المصادر القديمة . ب - مؤلفات خاصة تتعلق بالشخصية الأدبية المقررة . ج - مؤلفات عامة تناولتها بالبحث . د - مقالات الجلات العربية مأخوذة من ١٢٥ مجموعة مختلفة .

ويتبين من هذا أن الكتاب جليل الفائدة للباحثين والأدباء والأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعة والطلاب المجددين من المدارس الثانوية فهو يرشد

الى المراجع الضرورية وبعود الطلاب المطالعة والاعتماد على أنفسهم وتكوين رأيهم الشخصي بالبحث والتنقيب ، وندرك زيادة فائدته اذا لاحظنا النقص في مكاتبنا من ناحية إهمالها الفهارس التفصيلية لمواضيع الكتب والمجلات وإدراجها ضمن ثبوت المراجع الخاصة بأشخاصها أو بحوثها . ومن محسناته تقديمه بعض الأبحاث العامة ملخصة تلخيصاً جيداً كأبحاث الاعتزال والصوفية والموشحات وما شاكلها .

وقد قدّم له صاحبه بمقدمة مستفيضة بيّن فيها فائدة المطالعة الشخصية والرجوع الى المصادر الرئيسية في حياة دارس الأدب وضرر الطريقة التلقينية في قتل المواهب الشخصية والملكات الأدبية والعلمية .

ولنا على خطة التأليف الملاحظات الآتية :

١ - اقتصر المؤلف على ذكر المطبوع من آثار الأديب وحبذا لو ذكر المهم من غير المطبوع أيضاً ، لاسيما وأنه لم يخصه لطلاب المدارس الثانوية فقط بل جعله مرجعاً للأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعات أيضاً .

٢ - لم يذكر المراجع غير العربية التي تتعلق بالأديب أو الموضوع العام مع شدة حاجة المدرسين وطلاب الجامعات إليها ، وعذره في هذا رغبته في اخراج الكتاب بسرعة ليستفيد منه مطالعوه ، وأنه لم ينته من إعدادها وسيبتدأها بعد .

٣ - عدم استقصائه جميع الكتب الأدبية التي صدرت حديثاً ولا سيما المدرسية منها ولعل هذا راجع إلى أن مؤلفها لم يقدموا نسخاً منها الى دار الكتب اللبنانية .

٤ - يظهر أنه اعتمد على المنهاج السوري القديم بعض الاعتماد فقد ذكر أبا نواس مثلاً في منهاج البكالوريا السوري وليس موجوداً في المنهاج الحالي بل في المنهاج القديم وكذلك الشأن في ابن رشد ، وعدء امرأ القيس وطرفة والأعشى والخنساء وغيرهم في منهاج البكالوريا وليسوا كذلك بل هم في منهاج

الصف الخامس ولعلّ عذره في هذا أنه عدّ الدراسة الأدبية في مختلف الصفوف الثانوية حلقة واحدة ، ولم يذكر أن المنفلوطي موجود في المنهاج السوري مع وجوده فيه ، وكذلك الشأن في قاسم أمين وربما في غيره أيضاً ...

ومن الهنات التي وقعت في الكتاب ذكر كتب الزوزني والسيوطي بين الكتب الحديثة التي اعتمدها المؤلف ، كان ينبغي ذكرها في مكانها بين الكتب القديمة ، ومنها ذكره أن خالد بن يزيد هو حكيم آل مروان ، وهو في الحقيقة حكيم بني أمية لا بني مروان خاصة لأنه ليس منهم بل من آل أبي سفيان ، ومنها إدراج ابن المقفع في الدور الثاني العباسي مع أنه في طليعة الدور الأول العباسي ، ومنها قوله عن الشريف الرضي : إنه يتفرد بالرثاء وليس الأمر كذلك .

ويظهر فرق جليّ بين أسلوب المقدمة وأسلوب تراجم الشخصيات والأبحاث العامة فهذا الأخير سهل صحيح واضح ولكن أسلوب المقدمة لا يخلو من الإيهام والتعقيد وانه أقرب الى الأسلوب الغربي منه الى الأسلوب العربي (مثال ذلك ص ٦ من المقدمة من قوله : وهكذا حتى قوله لم يستكمل أداتها) ، ويرجع كثير من هذا الى نقص حروف العطف بين الجمل (مثال ذلك ص ٥ س ٢ قبل قوله توخّروا فوضع الواو هنا ضروري) وإلى تعدية الفعل غير المتعدي مع ضرورة ذكر حرف الجرّ (مثال ذلك المقدمة ص ٥ س ١٠ فينبغي وضع يبحث مستقل مكان : بحثاً مستقلاً) .

وقد وقع خطأ في ترتيب الصفحات نشأ عنه تشويش واضطراب في الكتاب فجاءت مصادر ومراجع الأعشى مثلاً بعد ترجمة عنتره ومراجع عنتره بعد زهير ومصادر المعلقات بعد ترجمة الأعشى وهكذا ...

وقد وقع في الكتاب من الخطأ المطبعي شيء ليس بالقليل ونرجو أن يتلافاه صاحبه في الطبعة الثانية ، كما جاء فيه بعض الخطأ اللغوي والنحوي وأعتقد

أنه يرجع الى السرعة في طبع الكتاب والى عدم تصحيح الخطأ المطبعي نفسه (مثال ذلك استعمال المؤلف ظهرها مكان أظهرها ص أ ، وبغمرها مكان يدعمها ص ج س ٧ ، والتقريبية الجافة مكان التقرير الجاف ص د س ١١ ، واليه مكان اليها ص ح س ١٣ ، والتفكيك مكان التفكك ص ل السطر الاخير ، والتعليمية مكان التعليمية ص م س ١ ، والتطوير مكان التطور ص ن س ١ ، وبنشء للعلم مكان ينشد العلم ص ن س ٣ ، وترك جملة كذلك يبدو ص م س ١ ناقصة المعنى تحتاج الى تكملة .

وهذه الهنات ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى الجهود الطيبة التي قام بها المؤلف في هذا الكتاب وسده فراغاً كبيراً في المكتبة العربية والدراسة الأدبية فإليه أقدم خالص تهنئتي وشكري .

نديم الحمصي



المجموعة الاقتصادية السنوية

لغرفة تجارة حلب

أصدرت غرفة تجارة حلب : (المجموعة الاقتصادية السنوية) لعام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) . وهذه المجموعة السنوية ، قد اعتادت الغرفة على إصدارها ، منذ اثنين وثلاثين عاماً ، وهي سنة حسنة ، لأن فيها فوائد جزيلة ، اذ توضح كثيراً من الأعمال الاقتصادية السورية ، وتدعمها بالأرقام .

وقد صدرت هذه المجموعة بكلمة من وزير الاقتصاد الوطني ، قال فيها : « لا بد من إيجاد سياسة اقتصادية انشائية قوية وثابتة ، ولا بد من تعاون

وثيق بين الشعب والحكومة في الميادين المذكورة » .

وانه يرى :

«أن واجب الحكومة تشجيع تأليف مثل هذه المنظمات وتعزيزها، ليتمكن لها القيام بما تتطلبه منها اقتصاديات البلاد في مراحلها المختلفة» .
وهي كفة طيبة نرجو تنفيذها .

وللاستاذ محمد سعيد الزعيم ، نائب رئيس الغرفة ، تقرير ضاف عن :
(الأحوال الاقتصادية العامة في سورية) بحث فيه عن التجارة والعلاقات التجارية مع الخارج ، والعلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية ، والحالة الاقتصادية بين سورية ولبنان ، وتطرق الى البحث عن هيكل الاقتصاد السوري ، والصناعة السورية ، وما تنتجه معامل الغزل والنسيج والاسمنت ، وحاجتنا الى بعض المعامل ، لتصبح صناعتنا قوية ، ثم بحث عن الزراعة والتوسع الزراعي ، وما يرجى للبلاد من ازدهار الزراعة ، وخاصة بعد ان انتشرت زراعة القطن في شمالي سورية : ونجحت زراعته ، وارتفعت أسعاره كثيراً ، حتى أصبحت مغرية للزارع ، وان الزراعة في حاجة الى آلات وأموال ، ثم ذكر مرفأ اللاذقية ، وفائدته على البلاد ، وهو بمجموعه تقرير حسن .

وقد تعرضت هذه المجموعة للمفاوضات بين سورية ولبنان ، وسردت أسماء تجار حلب ، وبحثت في التجارة العامة ، والودائع والسلف والنقد المتداول ، والأسعار في حلب ، وآراء الغرف التجارية العربية ، والقوة المحركة والوقود ، وشبكة البترول في الشرق الأوسط ، وزيارة المغتربين السوريين واللبنانيين الى حلب ، والمشاريع والأعمال الصحية ، والأشغال العامة في حلب والشركات فيها ، والخطوط الحديدية الشمالية ، والصلة بين التجار والحكومة ، والتجارة بين سورية وتركيا .
وصفوة القول : ان هذه المجموعة هي مفيدة ، وان التجدد الذي تدخله الغرفة التجارية الحلبية عليها ، بين سنة وأخرى ، يوجب التقدير والشكر .

صبر الشريف

آراء وأنباء

استقبال عضو عامل جديد

عقد المجمع العلمي العربي جلسة - ١٧ أيار سنة ١٩٥١ والموافق لـ ١١ شعبان سنة ١٣٧٠ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور منير العجلاني . وقد رحب به الأستاذ شفيق جبيري بكلمة نوّه بها بنشاطه الأدبي ، فرد عليه الدكتور العجلاني شاكرًا للمجمع انتخابه عضواً عاملاً ، و مترجماً لسلفه المرحوم الشيخ عبد القادر المبارك . وفيما يلي الكلمتان المشار إليهما :

كلمة الأستاذ شفيق جبيري

سيدي معالي الأستاذ الرئيس .

سادتي الأستاذة .

سيدي معالي الزميل الكريم .

وددت لو عهد بجمعنا الى غيري من رجاله أن يقدمك وما خطر بيالي هذا الخاطر الا بسبب الصداقة التي استحسنت أو اصرها بيبي وبينك من عشرين سنة فاني أخاف اذا قدمتك أن تظهر آثار هذه الصداقة على تقديمي ولماذا أخاف هذا الخوف ، أفلا أجد من صفات شخصيتك وأدبك ما يهد لي سبيلاً الى الكلام دون ان يُحسب للصداقة حساب وعلى ما به اني اشرع في تقديمك بحسب ما عرفت من هذه الشخصية وهذا الأدب دون شيء من الخوف .

أما شخصيتك وأرجو أن بغضي بجمعنا على استعمال هذا اللفظ ، فالذي جوز لإبي الفرج الاصبهاني ان يستعمل الأستاذية ولأمامنا الجاحظ أن يستعمل التارية

م (٩)

— ٤٤٩ —

يجوز لنا أن نستعمل الشخصية ، أما شخصيتك يا سيدي فما أظن ان العشرين السنة التي قضيتها في صداقتك مكنني من الاحاطة بها ، فقد كنت في خلال هذه السنين الطويلة أشعر اذا جمعنا الجامع باني بمحضر من لغز من الألغاز؛ كنت أشعر باني ، اذا كنت لا تستهجن هذا التشبيه ، بمحضر من صندوق مقفل ولكنه صندوق مطلي بالذهب ، مرصع بالياقوت يشغلي بريق ذهبه ولعان ياقوته عن التفكير في معرفة داخله ، كنت اذا حدثتك بحدث أشتهي أن تقع عينك على عيني حتى أعرف مقدار نفوذ هذا الحديث أذنك وقلبك ، كنت تصغي الي بأذنك وكان قلبك يشغل بأمر ثانية ، وما أظن أنك تنفق دقيقة من دقائق عمرك دون التفكير في شيء واذا لم تشغلك يقظة النهار عن هذا التفكير فلم يشغلك عنه نوم الليل ، قد يظنك الانسان مغفياً ولكن اغفاءك لفكرة من الفكر فان لك ذهنًا وقادراً يظهر نشاط الحياة على كل ناحية من نواحيه والعهد بيني وبين هذا الذهن ليس ببعيد ، أفلا تذكر لما كنا من سنتين في بيروت نسمع أقوال الذين يردون على العرب في اعتراضهم على دخول اليهود هذا المؤتمر الذي سموه «الاونيسكو» كنت أصعد النظر وأصوبه في الخطباء الانكليز والاميركان وأستمع الى أقوالهم ويشغلي الاستماع عن كل فكرة وكنت الى جانبي لا تنظر الي واحد منهم ولكنك كنت تلهو بورقة أمامك يضاء تحشيد ذهنك وتجمع فكرك حتى تطلع على الخطباء بأقوال بدبعة اذا هي لم تنجح في جمهور القوم فقد نجحت في نفسك لأنك أرضيت بها فكرك وشعورك وعاطفتك حتى لا يعتب عليك هذا الفكر الوهاج وهذا الشعور اليقظ وهذه العاطفة اللاهبة وما أحسست بجراتك على الكلام مقدار احسابي بهذه الجرأة في «الاونيسكو» فاللغة التي تكلمت بها لم تكن لغتك ومع هذا لم تبال بالأمر وهذا شأنك في أول دخولك مجلس النواب من خمسة عشر عاماً ، يخطب الخطيب الذي لا يجمع بينك وبينه حزب من الأحزاب أو مبدأ من المبادئ فتلهو في غضون خطبته

بورقة في يدك أو بقلم ويظن جليسا أنك مغف حتى اذا فرغ الخطيب من خطبته وسمعت في هذه الخطبة ما لا يرضيك نهضت من إغفائك الظاهر وانقضت على المنبر ولئن لم يكن لك على هذا المنبر زئير الأسد أو هدير الموج فقد كان لك عليه عندلة العنديل ، فما غردت الا سحرت النواب بأغاريدك ولست أدري ما الذي حملك على الانتطاع عن هذا التغريد في مجلسك اليوم .

وكما كنت اذا حدثتك بحدثك أحدثك ان أعرف مقدار صلة قلبك بهذا الحديث كذلك كنت اذا أغضبتك او أرضيتك بلفظ من الألفاظ أشتهي أن أحيط بمبلغ هذا الغضب وهذا الرضى ، فبعثتُ كنت أحاول هذه المحاولة فقد رزقك الله تعالى مناعة في ظاهرك دفعت عنك كل بلاء ، رزقك الله وداعة في خلُك تشغل صاحبك عن النظر في معرفة ما وراء هذه الوداعة وأعطاك رقة في قلبك تلهي صديقك عن الاهتمام بما بعد هذه الرقة ، فكنت اذا أرضيتك أو أغضبتك لا أرى بعد هذا الارضاء وبعد هذا الاغضاب الا الوداعة والرقة فاقصرت على هذا الظاهر ولن أجد نفسي في معرفة الباطن ونعمت بصحبتك عشرين سنة كما ينعم الناظر الى صندوق مذهّب مرصع ، بذهبه وترصيعه .

ولماذا تشغل أذهاننا بمعرفة البواطن اذا كنا ننعم بالظواهر ، لماذا هذه الفلسفة المتعبة في الحياة ، لماذا لا نأخذ من الأمور صفاءها وحدها اذا كان لنا في هذا الصفاء ما يرضي ذوقنا وشعورنا .

لقد اخذت منك يا سيدي صفاء الظواهر ولم أتعب ذهني بالوقوف على البواطن وأظن أن أكثر أصدقائك نعموا مثلي بفتنتك ولكني أعتقد أن نعيمي بها كان أشد من نعيمهم فقد كانت الصداقة بيننا تشتد حيناً وتفتر حيناً ولكنها كانت صافية في الشدة والفتور ، فاستمرت في طبيعتها وما السر في هذا الاستمرار الا رقتك التي تدفع عنك غضب الغاضبين والا النعمة التي كنت أنعم بها في هذه الرقة ثم دارت بنا الأيام دورتها واذا بنا يجمعنا هذا المجمع فنطرح فيه أنقالنا فما نبالي

بعد اليوم بالظواهر والبواطن وانما يهمننا أمر واحد وهو الأدب الذي ناسب بيننا
معاشر رجال المجتمع ، فجننا نذوق لذته ونعيش بنعمته ونفخر بسلطانه .
ولئن شعرت بعجزتي عن معرفة شخصيتك فهل أشعر بمثل هذا العجز عن
معرفة أدبك .

من حسن الاتفاق أن أستقبلك في مجعنا في شهر أيار في غمرة الربيع فاني
أرى بين الربيع وبين أدبك صلة قوية ونسبة شديدة ، هذه أوراقك ياسيدي
بين يدي لم أطرحها إلا قبل بضع ساعات ، كنت أطلع هذه الأوراق في أواخر
الصيف الماضي في كوخني في بلودان وفي جوار هذا الكوخ فلاح من أهل القرية
يربي النحل في بيته ، كنت ألهو برؤية هذه النحل كل يوم ، كنت ألهو بها في
الصباح اذا طارت لتتخذ من الجبال ييوتاً ومن الشجر ومما يعرشون و كنت ألهو بها
في الظهر اذا أكلت من كل الثمرات ثم دوت حول خلاياها وكم كنت أقول
في نفسي : ما أشبه أدبك ياسيدي بهذه النحل ، تطوف النحل فتقف على شجر التفاح
أو المشمش أو الأوجاص أو السفرجل ثم تعلق فتصعد في الجبال فتجني من
زهو الجرود ثم تعود الى خلاياها فيكون العسل خاتمة المطاف .

وهكذا أدبك ياسيدي ما فيه إلا أزاهير وأثمار وعسل فكأن هذه الرقة
التي اختصك الله بها انعكست على أدبك في أوراقك فتحولت الى زهر وثمر وعسل
فكنت اذا تفتيات هذه الأوراق واستظلت بظلال غصونها وضربت بعيني في
الجداول التي تجري من تحتها وفي التعاشيب التي تنبسط من حولها أشعر بهذه
الرقة في كل ورقة من الأوراق وفي كل غصن من الأغصان وفي كل عشب
من الأعشاب .

ولكني لما وجدت شبيهاً بين أدبك في أوراقك وبين النحل لم أجد الشبه في
الشهد وحده ، انك تعلم ياسيدي ان للنحل ايراً وما أظن ان أدبك خلا من أشباه
هذه الأير .

لقد باركت لي في قصيدتي «نجوى آدم» من عشرين عاماً وقلت: ان في الأفق الأحمر خيوطاً ذهبية تبشر بالفجر الرائع ثم قلت فيّ اني أعلنت اني ثرت على تقاليد الشعراء فما عدت أحل في المكان الأسمى لا المدح ولا الرثاء ولا الحكمة ولا النكتة ولكني أصف الجمال حيث وجدته وستكون قصائدي صوراً كاملة مثل صور الرسام وقطع الموسيقى .

لقد أبطأت عليك ياسيدي في الشكر ومن قلة وفائي أن لا أشكر لك هذه المباركة الا بعد عشرين عاماً لقد كان في كلامك شهد مثل شهد النخل ولكننا لم نصل الى هذا الشهد الا بعد أن غمّس فينا صاحبه ابراً مثل ابر النخل فحمد الله تعالى على ان ابرك ممزوجة بالعسل فهي لا تشبه ابر العقارب الممزوجة بالسّم الزّعاف ، انك لا تلتسع لسعاً ولكنك تقرّص قرص النخل وهذا ما يزيد في محبتك الى الناس وفي منزلتك منهم ، أنك لا تبطش ببطش الجبارين ولا تعصف عصف الرياح العاتية ولكنك تحف حفيف الورق وتنسم نسيم الصّبا ، فأنت رقيق في غضبك ورضاك ، في فرحك وحزنك ، في انقباضك وانبساطك .

وكأني بك تقول وما هي الا ابر التي غمستها فيك لما ذكرت قولتي الذي ذكرته انك ياسيدي لم تغمس ابرك في وانما غمستها في المتقدمين .

انك تعلم ياسيدي باني مولع بأولئك المتقدمين ، فعلى الرغم من اطلاعي على يسير من أدب الغرب وعلى الرغم من شغفي بهذا اليسير منه لا أعقّ الدين أورثوني أديهم ولغتهم فلولا هذا الميراث الضخم ما كنا شيئاً في العالم لولا هذا الميراث الذي انتقل الينا من الجاهلية والاسلام ثم من بني أمية وبني العباس ما كان للعرب شأن في هذا الدهر فلا تعتب عليّ اذا أولعت ببعض أدب القدماء ولا تلمني اذا كنت أدافع عن بعض مدحهم ورثائهم وحكمتهم ونكتتهم .

اني ياسيدي لا أرى في المدح فناً باطلاً اني اذا قرأت أماديح المتنبي في سيف الدولة لا أشغل ذهني بسيف الدولة نفسه وانما أشغله بالبطولة التي صورها

المتنبي فأبو الطيب في أماديجه كان يَصوِّر البطولة في أروع صورها وأكمل أشكالها وأتم صفاتها ثم يفتش له عن بطل بفرغ فيه هذه الصور وهذه الأشكال وهذه الصفات ، فالبطل الذي وجدته في عصره إنما هو سيف الدولة فما كانت أماديج المتنبي الا المثل الأعلى في البطولة وما أظن أنك تنكر شيئاً من هذا المثل الأعلى لقد كانت أماديجه درساً في الأخلاق فان أخلاقنا في حاجة الى البطولة في كل حين وخاصة في هذه الساعات .

أظن أنك تستغرب قولي وتسنعد للالتقاض على استعدادك للالتقاض على خصمك في مجلس النواب وقد كنت خفت هذا الأمر منك ثم أمني من أن أخافه رجوعك عن رأيك او تعديلك لهذا الرأي فقد قلت : وليس يجب علينا اذا أعجبنا بلون من العبقريات الغربية ان ننتقص عبقرياتنا الوطنية ونرميها بالسُخف والجهود بل يجب علينا أن نعجب بالصورة البارعة مها يكن أسلوبها والى أية مدرسة ينتمي صاحبها .

عندنا صور بارعة ولكنها لا تنتمي الى المدرسة اليونانية التي يُكبِّرها بعض متأدينا تقليداً لا دباء غربيين . . . فهل نرعى بها بالبحر اكراماً للعبقريين المجددين . نحن أنصار الجديد لا نصير له أكثر حماسة منا ولكننا لسنا أعداء لعبقرية العرب ونحن مؤمنون بما آمن به « غوتي » من قبل ، ومؤمنون بأن أوفر الناس حظاً من الانسانية هو الذي يحسن الافادة من عبقرية وطنه .

لا ريب يا سيدي في أن ذكري لهذا الكلام البارع الذي عدلت به رأيك يدخل الفرح على قلوب الذين يتلقونك في هذا المساء فهم على ما أظن مثلي لا يريدون أن ينقلبوا على المتقدمين ، ان جمعنا يعيش بالماضي وبال حاضر ولا يجوز له ان يقنصر على واحد منها فثق يا سيدي باني بعد قولك الكريم وكلامك الطيب لا أفرط في عتابك ، اني أغلق باب العتاب وأعود الى عسلك المصنفي والى ابرك الحلوة .

اعذرتني اذا كنت لا أترك اوراقك ، هذه الأوراق التي تضمنت أفكاراً تنكرها اليوم واساليب تعافها ، هذه الأوراق التي اردت ان يسعها اوراق الخريف حتى تتعري منها كما يتعري الشجر ولكنك لن تتعري منها ولن تستطيع ان تتعري الا اذا استطعت ان تتعري من قلبك وروحك فهي تلازمك كما يلازمك ظلك ، قد تبدل افكارك ويزيد علمك وتمتد ثقافتك ولكن روحك واحدة في اوراقك ، سواء أسميتها اوراق الخريف ام أزاهير الربيع .

وقد ظهرت آثار هذا العلم الزائد وهذه الثقافة المدبدة على كتابك الجليل عبقرية الاسلام في أصول الحكم فانك لما رأيت كما قلت ياسيدي في هذا الكتاب نقرأ من المستشرقين يزعمون ان العرب المسلمين خرجوا من البادية لا يعرفون ادارة ولا نظاماً فلما استقروا في الشام والعراق ومصر أخذوا عن شعوب هذه البلاد نظمها الادارية والمالية والقضائية بل أخذوا معها حتى الموظفين الذين يقومون عليها لأن العرب كانوا رجال حرب وما كانوا يصلحون للحرب لما رأيت هذه المزاعم قلت في صدر كتابك : هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي ذلك اني التمت جواباً عليها مقنعاً في الكتب التي تتداولها الأيدي في هذا الفن فلم أجده وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير .

انك ياسيدي لم تظهر في كتابك الجليل عبقرية الاسلام وحدها وانما أظهرت عبقريتك ، واذا كنت تجتري في هذه العبارة في تعريف كتابك عبقرية الاسلام في أصول الحكم أو في التنبيه على قدر هذا الكتاب فدعني أرجع الى روحك فهي واحدة في اوراقك سواء أسميتها اوراق الخريف ام سميتها عبقرية الاسلام في أصول الحكم .

لقد منحك الله ياسيدي قدرة على نوع من تنسيق الكلام لم يمنحه الا قليلاً من الكتاب واني أحار في امم هذا النوع من التنسيق ، انك تندفع في الكلام

على رجل الدولة بوجه عام فتعرفه وتصفه وتحصي ما يفتقر اليه من علم او خطابة او استقامة او كتمان او شجاعة او اناة او تجرد من الهوي او معرفة بالرجال هذا كله يمليه عليك علمك وثقافتك وقد تهتدي في هذا اليوم الى صفات ثانية أكثر من الصفات التي ذكرتها ولكنك لا تهتدي الى شيء أكثر مما أوجاه اليك قلبك انك لا تستطيع ان تحتم مقالاتك الا بمثل هذه العبارة :

« أيها السياسي لا يكن همك ان بقدرك الشعب وليكن همك أن تحسن ليقدرك خالق الشعب » .

لقد تنتقل من الكلام على رجل الدولة بوجه عام الى الكلام على أحد رجال الدولة واني لأشعر بأنك لا تريد أن اسميه وأنا اشاركك في هذا الشعور وأطوي مقالك فيه حرمة للموتى ولكني أستأذنك في ذكر عبارة منه وهي العبارة التي تدل على طرز روحك في أدبك ، أرجو ان تسمح لي بأن أقول لاخوانك في المجموع ان هذا المقال ينتهي بهذه العبارة :

« فاذا جاء وطني الى الحكم بعد اليوم فليذكر انه ملك للدولة وان الدولة ليست ملكا له » .

يمثل هذه الروح خفّ أدبك على القلوب فاستلذته واستطابته وثق ياسيدي بأني أول المستلذنين المستطيبين وكم كنت أود لو ثبتنا على الصحافة في الجرائد التي تعاوننا على انشائها وما أتمنى ما تمنيت الا لأمر واحدٍ، لهذه الخفة في أدبك وأسلوبك واضن انك آسف في أعماق قلبك على ترك الصحافة وانك ذاكر قول احد رجال فرنسة « الصحافة أكبر من كل وزارة » .

انك ياسيدي في ترك الصحافة حيناً وفي التفكير في الرجوع اليها حيناً آخر حملتني على ان اقول انك لم تشبه النخل في أدبك وحده ، وانما اشبهتها في حيانتك كلها ، فكما نرى النخل مولعة بالانتقال من شجرة الى شجرة ومن ثمرة الى ثمرة فكذلك رآك الناس مولعاً بحب هذا الانتقال في حيانتك كلها آخذاً بقول « فيكتور هوغو » في بعض كتبه :

انك لا تمدح الرجل اذا قلت فيه ان رأيه في السياسة لم يتغير من أربعين سنة ، معنى هذا انه لم يستفد تجربة في أيامه ولا قلب فكره في الأمور ، اذا مدحت رجلاً على هذا الشكل فكأنك تمدح الماء الراكد او الشجرة الميتة ، كل شيء يتغير في الرأي فلا شيء مطلق في أمور السياسة ما خلا الناحية الأدبية الباطنة في هذه الأمور وهذه الناحية انما هي مسألة ضمير لا مسألة رأي فمن الممكن ان يغير الانسان آراءه دون أن يثلم شرفه ، على شرط ان لا يتغير ضميره وسواء أكانت الحركة الى الأمام أم كانت الى الوراء انما حيوية انسانية اجتماعية .

المنجمل ان يغير الرجل رأيه لمنفعة ، المنجمل أن ينتقل الانسان فجأة من الأبيض الى الأسود سواء أكان الدافع الى هذا الانتقال درهماً أم كان ديناراً . لم تكن ياسيدي في سياستك ماءً راكداً ولا شجرة ميتة انك مولع بالحركة ، لأنك وجدت فيها مظاهر الحياة والانسانية والاجتماع واذا انتقلت فجأة من فكرة الى فكرة في سياستك فلم يتغير ضميرك في هذا الانتقال ويشهد الله ان الناحية الأدبية الباطنة في أمورك لم تثلم ، فقد كنت في حياتك وسياستك ووزارتك عفيف اليد ، عفيف القلب ، ولم تجتمع هذه العفة لكثير من الناس !

• مالنا وللسياسة .

• مالنا وللوزارات .

سادتي أساتذة المجمع !

لقد دوّت في خليتكم نحلة جديدة ، فالعقوا عسلها وعودوا بالله من إربتها .

شفيق جبري



كلمة الدكتور منير العجلاني

سيدي معالي الرئيس الجليل ، صاحب المجمع ، سادتي الأجلاء ،
 ما أخطأ العميد شفيق بك جبيري التشبيه ولا ظلمني ، ولكنه أصاب وأنصفتني ،
 فأنا نحلة ٠٠٠ نحلة طوفت في السهول والحقول ، والرباض والغياض ، تطلب
 الزهر النديان والعشب الريان ، لتحمل منها ، جنى طيباً ، الى أمراء ينتظرونها
 في مملكة الخالدين ، نحلة لم تنس موعدها ولم تخن سيدها ؛ ولكنها تكثرت ،
 فتأخرت ؛ بدأت كتاباً في التاريخ أسمته « علي ومعاوية » وبدأت كتاباً آخر
 في القصص أسمته « المطلقه » وبدأت كتاباً ثالثاً في السياسة أسمته « الفقه
 الدستوري » يقع في ازبد من ألبني صفحة : كتب ثلاثة كانت ترجو ان
 الحاجب الواقف على بابكم يعرفها بها ، فيدخلها عليكم موفورة الكرامة ،
 ولكنها ادركت بأخرة سوء فكرها ، فجاءت اليكم بضعفها وبفقرها ، كما
 جاءت الهددة الى سليمان : هديتها على مقدارها ، لأنه ليس في الدنيا هدية
 على مقداركم .

سادتي ،

من هذه المدينة ، خرجت طلائع المجد التي فتحت اسبانيا وصنعت معجزة
 الأندلس ، من هنا طار صقر قريش ، من هنا خرج القادة والسادة ، والعلماء
 والفقهاء ، والشعراء والأدباء ، والصناع والفلاحون ، يحملون مشعل الحضارة
 العربية الى الغرب الغارق في الجهالة والضلالة ، فاذا جاءت الى بلادنا بيوتات
 كريمة من المغرب ، فانها لا تفد علينا جالية أجنبية ، وانما هو المغترب يرجع
 الى الوطن ، بل الطير يعود الى عشه الأول ، تسوقه غريزة لا تخفي .

منذ مئة وعشرة أعوام ، استقبلت دمشق قبضة من أشرف الجزائر وعلمائها ،
 فروا من الوطن الى الوطن ، وكان جد فقيدنا الكبير في مقدمة هؤلاء النازحين

أو العائدين الذين توارثوا العلم والفضل كإبراً عن كابر ، وقد ولد له ولد أسماء «محمد» علمه فأحسن تعليمه ، فكان عالماً أديباً متديناً زاهداً ، يقبل الناس على دروسه اقبالاً منقطع النظير ، وولد فقيدنا من محمد هذا ، رحمها الله ، وقد سمي عبد القادر ، تيمناً بالأمر عبد القادر الجزائري ، وكان أبوه راضياً عنه ، معجباً بكائه وخلقه وجده ، وهو الذي علمه مبادئ اللغة والدين ، ونشأه تنشئة صالحة ، ثم أرسله الى المدرسة الرشدية العسكرية فلم يلبث فيها الا قليلاً ، ثم عاد يقرأ على أكابر الشيوخ التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ، وبرع في كل أولئك ، ولكنه آثر الاختصاص باللغة ، وأدرك أبوه ذلك فطلب منه التوفر على شرح مقصورة ابن دريد ، ففعل ، وفي عام ١٩١٠ أقامت الحكومة مسابقة لاختيار أستاذ لتدريس اللغة العربية في المدرسة السلطانية بدمشق ، ففاز فقيدنا فوزاً ميبناً ، وبقي أستاذاً للغة في هذه المدرسة نحواً من ثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنها الا مدة يسيرة ، درس خلالها في المدرسة الحربية وفي مدرسة الأدب العليا ثم درس في دار المعلمين العليا ، وتذكر لنا مقالة نشرتها مجلة المجمع انه انتخب عضواً في لجنة التعريب (التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الادارية والعسكرية وغيرها ، وانه كان من أجل أعضاء المجمع وأقدمهم ، رافق المجمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله . . . واشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب . . . وكانت اللغة أبرز نواحي الشيخ . . . فقد شغف بدراستها منذ حداثة واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار ، وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة ، وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق ، فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم ، فكان حجة في هذا الباب ، فلا تكاد تسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيها من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها ويناسبها من النوادر الأخرى ، ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً ، السيرة

وتراجم الرجال ، فكان راوية حافظاً للأخبار والتراجم ، كثير الولوج بطلاعة كتب التاريخ والتراجم ، حتى يكاد يعرف ماورد في ثناياها من الطرف والأخبار ، أمثال وفيات الأعيان ومسرح الذهب وابن عساكر الخ . . .
سادتي ،

ذلك ما كتبتة مجلة المجمع ، وهو قول حق ، فقد كان أستاذنا الكبير من أعلم الناس بفقهاء اللغة ، ومن أحفظهم اشواهدا وشواردها ، لا يمل طلبها في مظانها ، ثم لا يمل تأديتها الى جمهور طلابه واخوانه ، كان زنجي اللغة ، وأسألكم العفو عن هذا التعبير أصف به سيداً حلالاً ، انما أحبي بذلك وصفاً لابن عبدون ، وجدته في رسالة الرقيق ، قال : لو وقع الزنجي من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بابقاع .

أعرفتم وصفاً أبلغ في الدلالة على غلبة الصنعة ، تغلغت في كل ذرة من ذرات الجسم ، وعلى قوة الطبع ، يبرز في كل حركة من حركات النفس ؟ كذلك كان فقيدنا الكبير ، لو وقع من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بلفظة يهيجها ، أو كلمة يفسرها ، أو بيت ينشده ، أو مثل يردده ، كان فقه اللغة ، صنع رجلاً .

سألنتي مجلة « الأديب » ، يوماً ، من هو الكاتب ؟ فاستعرت لها كلمة منذر ابن واصل ، قيل له كيف شهوتك الى الأدب ؟ فأجاب : أسمع بالحرف منه لم أسمع ، فتود أعضائي لو أن لها أسماعاً تنعم مثلما تنعمت الآذان .
لقد حقق فقيدنا المبارك أمنية ابن واصل ، فكانت أعضاؤه تنعم بما بلذه من لفظ أو معنى مثلما تنعم آذناه ، وكان يؤدي هذه الألفاظ والمعاني الى الناس على صورة مخصوصة ، هي : « الصورة المباركية » . كان كلامه الحركة تتكلم ، وكانت حركته الكلام يتحرك ، بل الكلام يرقص ، حضرت بعض مجالسه ،

رحمه الله ، فكنت ممن يرى أمواج البحر تتلاطم ، ولو رأيتني سأكتأ صامتاً ،
لبقيت له في نفسي صورة البحر الهائج .

كان يدرس اللغة في قاعات كبيرة ، بين أيدي طلاب خبثاء ، فجعلته
سعة القاعة يتكلم كمكبر الصوت ، وجعله خبث الطلاب أشد منهم مكرراً ،
فان رغبوا عن العلم فقد عرف كيف يرغبهم في العلم ، بأسلوب بارع يفتح به
مغاليق نفوسهم ، وينشط عقولهم ، وهذا الأسلوب ينتقل به بين نصح الواعظ ،
وسخر المضحك ، ونكتة الظريف ، ومنطق العالم ، ولعل سر نجاحه العميق انه
كان مؤمناً برسالاته ، مبشراً بمعتقداته ، ينزل الى مستوى طلابه ، ولا ينتظر
منهم أن يصعدوا الى مستواه . من الأساتيد من يجلس على المنبر لا يفارقه ،
أما المبارك فكان يذرع قاعة الدرس ، شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، كان
كل مكان في القاعة مكانه ، ولم يكن مكان في القاعة مكانه ، ولو أن
طالباً في أقصى الصف همس في أذن رفيقه همسة ناعمة لسمع لها من فم الأستاذ
الجواب الذي يرثضيه التلاميذ كهم ، ولا يرون جواباً أحلى منه ، وانهم
ليتضاحكون له مها يكن شديداً عليهم ، فقد حبه اليهم انه يحبهم وانه صريح
لاحد لصراحته .

ترك لنا الأستاذ المبارك كراسات صغيرة مدرسية ألفها في أول عهده بالتدريس ،
ولا يصح في رأبي أن يعول عليها في تقدير مبلغ علمه واطلاعه ، ولكنها تدلنا
على ناحية لطيفة في (تحول) أسلوبه فقد كانت كتابته سهلة جداً ، لا أثر للتكلف
فيها ، وانك لتطلب فيها اللفظة الغريبة فلا تجدها ، بل ان المبارك ليدعونا هو
نفسه الى اطراح التكلف ونبد الغريب . قال لطلابه في المدرسة الحربية ،
يعلمهم واجبات الخطيب : ليكن أول ما يطرق أسماع مخاطبيه لبند الألفاظ
ومأنوسها لأنها مغناطيس القلوب . وقال لهم في دروس الانشاء الرسمي :
«يشترط فيه ان يكون بلغتها الرسمية مع تجنب الكلمات الغريبة والوحشية ،

والعامية والأجنبية ، وان تكون عبارته جزالة ، متينة ، جديدة ، صريحة في افادة المرام .

لقد جنت على فقيدنا الغالي قصيدته القافية المشهورة :

(لم يامهيب الجد هيب الراقي الحسن منظر ثوبه البراق ؟)

وما زال الناس يجدون فيها الدليل على تكلفه وولعه بالغريب . يقول قدامة ابن جعفر ، في كلامه على عيوب اللفظ وحوشي الكلام : « هذا الباب مجوز للقدماء ، ليس من أجل انه حسن ، لكن من شعرائهم من كان اعرايياً قد غلبت عليه العجرفة ، ووسست الحاجة الى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب والتكلف ، لما استعمله منه ، لكن بعادته وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع » .

وفي اعتقادي ان المبارك ، رحمه الله ، عاش في دنيا هذا الشعر القديم ، يفسره لتلامذته ، وأصحابه ، ويظهر لهم ما خفي من محاسنه وجعل ذلك ديدنه وهجراه ، حتى استأنس بغريبه ، فاستعمله في شعره غير متكلف ولا متعجرف .

سادتي ،

كانت اللغة العربية معشوقة المبارك ، ولولا التقي لقلت مع الحريري : معبودته جلت قدرتها ، وافي لشديد الحرص على أن أقرأ لكم صفحة نشرتها له مجلة المجمع في عنوان لغة المتنبّي ، فان هذه المقالة لا تصف المتنبّي ، وانما يصف فيها المبارك نفسه . قال : « أبو الطيب له ولع ودرية باسعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضري القديم لم يستطع اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيهتدي لي ، فلم أقدر على اللحن

... فالتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لفته التي يفديها بروحه ،
 وكأنه يقول ، لا بارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة . من أجل ذلك رأى
 ارتكاب ما فيه خطر على حياته أهون من ارتكاب ما فيه خطر على لفته .
 ... ومن أشباهه في الثنثنة ذلك الأمير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان
 يكتب باللسان المبين أسماء الأطعمة التي يريدها في رقاد يبعث بها الى طاهيه ،
 وكان هذا لا بقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فراجع ابن ابي اسحق
 الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبلة في
 تلك الرقاد ، فاذا عرف ما فيها من أنواع الأطعمة أتاه به ، وكان من
 أجل ذلك يبطن عليه في احضارها فقال له : ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطن
 كأنك تريد باطنك أن تحملي على الصيام .
 فقال له الطاهي : سهل كلامك أسهل طعامك .

فقال له سيده : يا ابن اللخناء ، أفأدع عربيتي من أجل عيك !

... لا جرم ان هؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن يلحن وبتهاون
 بالاعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب ، كالأعرابي الذي كان يقول :
 عجبت للتجار الذين يلحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرهم ،
 وكالذي سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه ، فقال : لولا
 القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان .

* * *

هذه هي نظرة المبارك الى اللغة ، كانت عنده معيار عظمة الرجل أو حقارته ،
 فمن ربح في تجارته أو ساد في امارته ولم يكن يعرف اللغة فإنه غني حرب ،
 على حد التعبير المصري ، لم يتأدب بأدب الفضلاء ولا استحق الثروة التي له ،
 وينبغي للناس أن يحقره .

ترك لنا الفقيه كتاباً واحداً ، يصح ان يسمى كتاباً هو ، شرح مقصورة ابن دريد ، ولم يطبع حتى اليوم ، يقع هذا الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة ولعله لا يزيد في الطبع على ثلاثمائة صفحة ، وفيه فوائد كثيرة لغوية وأدبية ولا يخلو من فوائد تاريخية ، كقصة الزباء وغيرها ، وأرجو ان يطبعه مجمعنا الحبيب ، فان لم يفعل استأذنت أبناءه بالاقدام على طبعه ، حتى ينتفع به الناس ويقف شاهداً على فضله ، أما الشهود الآخرون ، فهم طلابه ، لأن الفقيه كان معلماً قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، مثله في ذلك كمثل سقراط في الروم ، لم يخلف كتاباً ، ولكنه خلف طلاباً .

سادتي ، قرأت في بعض كتب الأخلاق ان رجلاً دخل روضة جميلة ، تمهدت طرقها ، وتناسقت أشجارها ، وتألقت أزهارها ، فوجد على كل شجرة لوحة كتب عليها اسم الذي غرسها او اهداها ، تنطق بفضله وتدعو الى التشبه به ، ولكن الذين علقوا هذه اللوحات نسوا شيئاً واحداً ، نسوا ان هذه الروضة كانت مستنقعا موبوءاً ، تحيط به التلال والأخاديد ، وبغمره الشوك والحشيش والفطر ، وان الذي أعدها للحياة ، واستحق ان يذكر اسمه مع كل الأسماء ، هو شيخنا عبد القادر المبارك ، فان كان لم يغرس شجرة ، فقد مهد الأرض التي غرست فيها الأشجار ، وغذاها ورواها ، رحمه الله .

* * *

سيدي العميد جبيري ،

كانت خطب الجامع في فرنسا خطباً متزنة ، متكلفة ، ليس فيها معنى بكر ولا فكر حر ، وانما هي قطع بيانية وبديعية ، حتى قيل في وصف كل خطاب ضخم الألفاظ ، هنر بل المعاني انه خطاب مجمي (اكاديميك) ، بل ذهب «ده موسى» الى أبعد من ذلك ، فشبّه عمراء حسن ، في قصيدته «نمونه» بمرء الخيطب

الجمعية . فأين هذا من خطبنا ؟ ان كلامك ياسيدي العميد لو قيل في عصر دي موسى ، لشبه به كل شيء جميل وكل معنى لطيف . لقد قلبت تقاليد الجامع رأساً على عقب ، وجعلت استقبال المجمع شبيهاً باستقبال مدرسة سان سير ، فان كان المثل يقول : رب رجل يقاد الى الجنة بالسلاسل ، فانك قادر على ان تقود الرجل الى الجنة بل الى النار ، على نغمت مزمارك الملمم وهو راض وقرير عين .

سيدي العميد ،

لا أجزى لنفسى ان انبه على عبقرتك وان ارد ثناءك بمثله ، فالثناء في المجمع يوهب ولا يباع ، وقد أوكل اليك التعريف بي ، وأوكل إليّ التعريف بالأستاذ المبارك ، وما ينبغي لأحدنا ان يخرج من الدائرة التي رسمت له ، ولكني أستاذك في توضيح بعض ما خفي من امري ، وليس في العالم شيء يلبس عليك . . . ، ولكنك أردت ان تدفع عني شيئاً مما توهمه بعض الناس ! بدأت بتغيير الرأي ، فأغدقت عليه من الثناء ما حبيه الي وجعلني اتعلق به . بالغ (روسو) في وصف الطبيعة الوحشية والتغني بمفاتها ، حتى قال له (فولتير) مداعباً : لقد عدت أنتهى المشي على أربع !

وانا ايضاً عدت أنتهى تغيير الرأي كل يوم . ومن أين ؟ وانا اكثر تمسكاً برأيي مما يظن ، وما ينسب الي من تغير وتحول ، ليس أكثر من وهم ! ان الذين عملت معهم هم الذين غيروا آراءهم او تغيروا ، واما انا فبقيت ثابتاً ، وما بدلت تبديلاً . يقول بعض الكتاب الغربيين ان الناس في المكسيك لا يسألون عن الرجل من أي حزب هو ؟ ولكنهم يسألون : من أتباع أي رجل هو ؟ وهكذا الناس عندنا ، متى عملت مع رجل عدوك من أتباعه فاذا خالفته أو عملت مع آخر ، ارتكبت في نظرهم جنابة ، وكنت كمن يهجر جنسيته ويتخذ

م (١٠)

لنفسه جنسية وطن آخر ، هذا هو الوهم ، فان العمل مع رجل لا يعني الخضوع اليه او الفناء فيه ومتابعتة على الخير والشر ، واني لأنزله نفسي عن مثل هذه العبوديات . ان التغير الذي ينسب الي نوع من خداع البصر ، يشبه قول الراكب في قطار ينهب الأرض ان الطريق تمشي ؛ وانا فوق هذا وفي لاخواني فان تنكروا لي لم أتذكر لهم ، ولم أفارقهم الا في مرحلة اليأس ولست أقول مع ابن الرومي :

حي شديد وكذلك وجددي

للخير والشر بقاء عندي

كالأرض معها استودعت تؤدي

فانا أوذي الخير ، ولا أرد الشر بمثله الا قليلاً ؛ ومتى ارتضيت لنفسي حزناً له أهداف ومناهج واضحة ، عرف الناس مبلغ تمسكي بالحزبية الصحيحة . لقد اعتذر لي العميد عن ذنب لم ارتكبه ، جزاه الله خيراً كثيراً . وبذكر العميد ان لي ورقة أتلهي بالكتابة عليها كلما تكلم انسان امامي ! . ان هذه الورقة لا تدل على الانصراف عن التحدث والسباحة في بحر الأخيلة ، انما هي عادة قديمة ، قد تكون موروثه وقد تكون مكتسبة ، ولكنها على كل حال تعين على تركيز الانتباه ، وأنا ، بعد ، وان كنت أنجو بقلبي وعقلي من بعض المجالس ، فاني لا افر الا من مجالس الجهلة والثرثارين ولو ملكت اكثر من عقل واكثر من قلب لأحضرتها مجالس العميد جبيري ، فليس شيء عندي أجدر بان يحرص عليه ويسار اليه .

أما تشيبي بالصندوق المطلي بالذهب ، لا يعرف ما في داخله ، واكتفاء العميد بظاهري حتى لا يتعب نفسه ، فليس بالكلام الموجه ، الذي يحتمل المدح والذم ، ولكنه أسلوب خاص في النظر الى الحياة .

كلا يا سيدي العميد ، انا لست لغزاً ، وانما انا رجل كسائر الناس ، وقد أكون أقرب الى الصراحة من كثيرين عرفوا بالصراحة . وليس أدب الحديث ، ما يؤخذ على دمشقي ، « فالتدمشق » عنوان الرقة والمجاملة ، ونحن من دمشق ، شئنا أم أبينا ، وليس تكريمك الضيف يعني أنك ملزم ، بان تثني على سياسته في مجلس النواب مثلاً ، فحق الوطن عليك فوق حق الضيافة ، ورقة الانسان في مجالسه ، لا تستوجب منه الرقة في عمله الحكومي ، حتى يقال انه « منسجم » السيرة متسقها ، ولو ان احدنا كان مطالباً بان يدير وجهه عن كل رجل لا يحببه او لا يرضيه بعض خلقه او بعض عمله ، لرأيت الناس يمشون في الشوارع ورؤوسهم الى الأرض حتى لا يروا أحداً ، ولو تكاشف الناس بكل ما في قلوبهم لما استطاعوا ان يعيشوا .

وبعد ، فاعل سيدي العميد يصنع بي صنيع الأسماء ، يجرحني ليعطيني مكافأة على الجرح سهماً من ذهب ، أو لعلها مداعبة اليعسوب للنحلة . . . يضع فيها السم القليل في العسل الكثير ، وكأن هذا السم القليل عنصر من عناصر الجودة في العسل ، أو بمنزلة الدواء المقوي او المشهي .

بقيت نقطة أخيرة ، هي انكار العميد علي دعوتي الى أدب جديد وغمزي من قناة الشعراء القدامى ، فليعلم ، سيدي العميد ، أعز الله به الأدب والشعر ، ان الشعراء الأقدمين مفخرة من مفاخرنا القومية ، وقد أدوار رسالتهم كأحسن ما تؤدي الرسائل ، وأنا لا أدعو الى تسفيهم أو تجاهلهم ، ولكني أدعو الى اكمال رسالتهم .

ان الحضارة الحية عمل مستمر ، مبدع ، وليست متجففاً تصف فيه التائيل صفاً لتعبد . لما أخذ العجوز (رو كفيار) ولده الفتي الى مقبرة الآباء ، قال له : يا ولدي عمما قريب أموت وترثني ، فانظر ! ها هنا صورة الذي بقي ، ان تمجيد

الموتى ، سر خلودنا ، ماهي حياة الرجل ؟ ماهي حياتي ؟ ان كان الماضي والآتي لا يرسمان لها معناها ووجهتها .

لقد ذكره بحق الموتى ، ولكنه لم يعفه من حق الحياة ، ذلك ان الحياة برزخ بين الماضي والمستقبل ، فمن أراد الحياة ماضياً فقط ، فانما يريد الجلود ، ومن أراد الحياة مستقبلاً فقط ، فانما يريد الجنون . ان الكعبة لم تنزل من الوجود ، يوم حطم الرسول الأعظم أصنامها ، فقد أودع فيها روحاً أقوى من كل تلك الأصنام التي كانت تسكنها ، وأنا لا ادعو الى تحطيم الكعبة ، كعبة الشعر ، ولكني أدعو دعوة الاسلام : نخطب الله بقلوبنا وعقولنا ، لا بقلوب الأصنام وعقولها .

ان اجدادنا نقطة انطلاق لنا ، وليسوا نقطة انتهاء ، والزمن لم يقف حيث وقفوا . لقد تركوا لنا لغة جميلة ، غنية ، تسع كل عاطفة وكل فكرة ، فما ينبغي لنا ان نقف منهم موقف ذلك الشاعر الذي أراد معارضة بيت من الشعر ، فأعاده . . كما هو ، ان هذا معناه التحجر والموت . لقد استمد أجدادنا شعرهم من حياتهم ، ويجب علينا أن نستمد شعرنا من حياتنا . هذا ما دعوت اليه ، وانا لا أبشر بعد بالسخافات الشعرية الجديدة ، فان الشعر المتين الرصين هو الذي يكتب له الخلود .

ظهرت في فرنسا في أوائل هذا العصر أربع عشرة مدرسة وهي : (الطبيعية) و (الانسانية) و (الترفية) و (الدرورية) و (التركيبية) و (التامية) و (الاغرائية) و (الاخلاصية) و (الكشيفية) و (الازدواجية او الثنائية) و (التكميلية) و (الدادائية او الحمارية) و (المستقبلية) و (الاجماعية) ، الى مدارس أخرى فوق الواقعية ، ووراء الخيالية .

كل أولئك مذاهب في الشعر قد نجعل في بلادنا حتى أسماءها ، ولكنها كانت في فرنسا ، مدارس لها قادتتها وأتباعها ، ومناهجها ومجلاتنا ودواوينها ولها بعد هذا كله نواديها ومقاهيها الخاصة !

أفتعرف أين ولدت هذه المدارس ؟ ولدت في مجالس الحشيش وحانات الخمر ، ذلك ان شعراء هذه المدارس الجديدة يزعمون أن «الواقع» شيء لا يؤبه له ، وان العقل عدو الانسان ، ينبغي له أن يتحرر منه . دخل رجل على جماعة من هؤلاء الشعراء وهم يدخلون السجائر في مقهى ، فقال لهم : لقد أمرتكم يا قوم في الخيال ، فعودوا الى الحقيقة والواقع ، فأجابوه : الواقع ! ما الواقع ؟ انه عقب هذه السيارة ، وأعقاب السجائر ترمى بها الأرض ، أما الدخان ، أما الخيال ، فهو وحده الذي نكرمه ، وهو وحده الذي يصعد الى السماء .

ما هو العقل ؟ العقل شيء يعقل لسانك وقلبك وجسمك ، شيء يجبر عواطفك ويولد ذهنك ، العقل هو هذا القالب الفولاذي الذي «يضغط» على الفكرة ويسجنها ويمسخها .

• ذلك لون من ألوان التفكير ، أو قلة التفكير ، أما أنا ، فمن الذين يؤمنون بالعقل ، ولكن العقل الذي آمنت به هو العقل الذي يجدد ويولد ، لا الذي يسرق ويقلد .

سادتي ،

يقولون ان حياة الأديب تنتهي في المجمع ، أما أنا ، فلم تكن لي من قبل حياة أديبية ، وقد انتخبتم في محب الأدب لا الأديب ، إن حياتي تبدأ اليوم ، إن شاء الله . والسلام عليكم .

منير العجلاني

خطاب آغا خان

في مؤتمر العالم الاسلامي (١)

لاتخاذ العربية لغة رسمية لباكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس - اخواني المسلمين .

باستطاعتي ان اؤكد لكم اني شاعر بخطورة ما سأقوله الليلة ، عالم تماماً ان هذا الكلام سيثير حواري سنخط جماعات من سكان البلاد لها مكانتها وقيمتها . غنر انني اكون عاقفاً للإسلام اذا أضعت هذه الفرصة الثمينة من غير أن ادلي بآرائي امام اهل هذه الدولة الاسلامية القوية الواسعة الأطراف ، هذه الآراء التي يحفزني واجبي الى أن أذبعها على المسلمين ، مقرونة بما يستوعبه مثل هذا الخطاب القصير من أدلة وقرائن .

اني أخشى ان يسيء بعض هذه الحجج اساءة شديدة الى أولئك الذين كانوا - في أحوال تختلف تماماً من الأحوال الحاضرة - قد وقفوا كثيراً من سني حياتهم بعاضدون القضية التي أعتقد أن أهميتها اليوم قد تضاءت أمام الأحداث العظيمة التي غطت عليها مما لم يحلم به أحد في تلك الأيام السالفة . وانا أشعر ان التبعة عليّ في ذلك هي أعظم مما أعتقد انني أستطيع الادلاء فيه بحججي امام اهل الباكستان المسلمين بمجموعهم - كل مقاطعة بمفردها ، وكل المقاطعات بمجموعها - بينما أرى اننا لم نخط بعد - لحسن الحظ - خطوة يمكن أن تكون قاضية على دستور هذه الدولة الفتية .

(١) المنقد في كراتشي في التاسع من شباط ١٩٥١ .

ان لغة أمة من الأمم ليست وسيلة للتعبير عن صوتها فحسب بل هي طريقة التفاهم بين جميع الهيئات الانسانية الأخرى . وها انا ذا الرجل المعجوز ، أتضرع الى اخواني في الاسلام هنا ، قبل أن يسبق السيف العذل ، ان لا يقرروا الاردية نهائياً كلمة الباكستان الوطنية . بل أن يختاروا اللغة العربية ، راجياً ان يصغوا الى حججي في ذلك .

ان أول حججي ضد اتخاذ اللغة الاردية لغة وطنية هو : لو ان القسم الثاني الذي كان يؤلف مع الباكستان امبراطورية الهند البريطانية قد اتخذ الاردية لغته الوطنية ، لكان في ذلك للباكستان عذرها في أن تحذو حذوه ، إذ تكون الاردية رابطة لغوية ونقطة اتصال عظيمة مع هذه الجمهورية الواسعة في الجنوب .

يشهد الله اني آخر من يريد أن يهدم اي جسر للاتصال والتفاهم بين الباكستان وجارتها الكبيرة . غير ان الواقع هناك ، ايها الأصدقاء ، هو ان اللغة الهندوكية قد حلت محل اللغة الاردية ومحل اللغة الهندستانية ايضاً ، كلمة وطنية .

ولقد كانت سكان الهند على حق في اختيار أية لغة شاءوا لجعلها اللغة القومية مادامت الأكثرية تعتقد أن تلك اللغة موافقة لها وذات صلة بتاريخها القديم . أما اختياركم انتم في الباكستان اللغة الاردية فليس من شأنه أن يحسن ولا أن يوثق صلاتكم مع جارتكم الجنوبية ، كما انه لن يساعد الأقليات المسلحة هناك مساعدة كبرى . ومهما أضفنا من كلمات عربية او فارسية جديدة الى اللغة الاردية فليس باستطاعتنا ان ننكر أن النحو والتركيب وأسس هذه هندوكية لاعربية .

هل كانت الاردية لغة مسلمي الهند في ابان مجدهم ؟ كلا فهي لم تعتبر لغة

الحكام أثناء حكم الباتان الطويل . وفي زمن المملكة المغولية المجيد لم تعتبر لغة المثقفين ، فهل بإمكان أحد من الناس أن يبرز رسالة كتبها أحد الأباطرة مثل اورنجزيب أو شاه جهان أو جها نجير أو أكبر أو همايون أو بابار باللغة الاردية ؟

اني أتحدى ! إن لغة البلاط كانت الفارسية وأحياناً التركية .
لقد قرأت الكثير مما كتبه اورنجزيب وكل ذلك باللغة الفارسية الجميلة .
ومثل هذا يصدق أيضاً اذا زرنا تاج محل وقرأنا ما نقش على مدفن الامبراطور ومدفن حليلته المشهورة .

وكذلك كانت الفارسية لغة البلاط ولغة الطبقات المثقفة الى أوائل القرن التاسع عشر . حتى في البنغال البعيد فان المثقفين من الهندوسيين اتخذوا الفارسية لغة الأدب والمخاطبة لا الاردية . وحتى أيام «ماكولي» ظلت الفارسية لغة الطبقات الارستقراطية في البنغال بصرف النظر عن اختلاف مذاهب البنغاليين . كما كانت أيضاً لغة الوثائق الرسمية ومجالس القضاء .

لنتقف من الحقائق التاريخية وجهاً لوجه . ان الاردية أصبحت لغة الهند الاسلامية بعد ذهاب دولتها ، وهي لغة مرتبطة بعهد الانحلال . ان شعراءها العظام هم شعراء هذا العهد ثم ان ساسة هؤلاء العظام كان محمد اقبال الذي أوحى اليه حب احياء المجد الأدبي أن يهجر الاردية كلغة للشعر الى الفارسية . حضرت استقبالاً أقيم على شرف اقبال نظمه رجال مثل البروفسور نيكلسون ، وقد قال فيه اقبال نفسه انه اتخذ الفارسية لغة لشعره لأن الشعر الفارسي مرتبط بعظمة الحكم الاسلامي لا بحقبة انحلاله .

وبعد ، أفمن الصواب أن تصبح لغة عهد الانحطاط لغة وطنية لما نتمنى أن يكون أعظم ما نصبو اليه من اليقظة القومية . ان كبار أساتذة الاردية

عاشوا في حقبة المحود والفضل . وفي ذلك الزمن كانوا على حق في استعمال لغة أصلها هندوكي أضافوا اليها عدداً من الكلمات العربية والفارسية ليجدوا سبيلاً للتفاهم بينهم وبين السواد الأعظم من مواطنيهم يومذاك . أما اليوم وقد انقسمت الامبراطورية الهندية قسمين قام فيهما أمانان عظيمتان فان العالم بأجمعه يأمل من كلا الطرفين أن يطمئن نهائياً الى هذا الوضع . أنا أسألكم ، هل الاردية هي اللغة الوطنية الطبيعية لسكان الباكستان الحاليين . . . ؟ هل هي لغة البنغال حيث تعيش أكثرية الباكستانيين المسلمين . . . ؟ هل هي اللغة التي تسمعونها في شوارع داكا وشيتاغونغ . . . ؟ أهى لغة الحدود الشمالية الغربية أم هل هي لغة أهالي السند أم لغة أهالي البنجاب . . . ؟

لا ريب في ان المسلمين والهندوكيين قد رأوا من الصواب بعد سقوط الامبراطورية المغولية أن يتخذوا في بعض المقاطعات لغة تجمع ألسنتهم ، ولكننا نحن اليوم في حاجة الى أشكال أخرى من الوسائل للوصول الى تفاهم متبادل .

من ذا الذي خلق الاردية . . . ؟ وأين كانت منابعها . . . ؟ وعن أي طريق أتت . . . ؟

أما الذين خلقوها فهم حواشي المعسكرات ، وأما منابعها فكانت في صفوف المرتزقة الذين تجمروا حول البلاط الامبراطوري . أولئك هم الذين بنوا تلك اللغة . وجعلوا - وهم يتسكعون في طريقهم المهملة - يحشرون الكلمات العربية والفارسية كما احتاجوا اليها في نظام النحو من لغتهم الهندوكية كما فعل أحفادهم في الأيام الأخيرة حينما جعلوا يضيفون الكلمات الانكليزية من أمثال « جلاس » و « كب » ، تلك التي أصبحت جزءاً من اللهجة الاردية الحديثة التي تدعى بالهندستانية .

أتريدون أنتم الآن أن تجعلوا لغة المعسكرات أم لغة البلاط اللغة الوطنية لهذه الدولة الجديدة . . . ؟

كل طفل مسلم ، أهله على شيء من اليسار ، يتعلم القرآن الكريم باللغة العربية سواء أكان من داكا في الشرق أم من كوتبه في الشمال . ثم هو يتعلم الأبجدية العربية ليتعلم القرآن . ان اللغة العربية هي لغة الاسلام . لقد نزل القرآن عربياً ، وجاءت أحاديث النبي عربية . وكذلك كانت ذروة الثقافة الاسلامية في الأندلس عربية . فعلى أولادكم كلهم أن يتعلموا شيئاً من العربية في كل حين . ثم ان هذا ينطبق على الباكستان الغربية في السند وفي بلوختان وفي الشمال .

وإذا تأملنا الأمر من ناحيته العملية والعالمية وجدنا ان اتخاذا اللغة العربية لغة قومية لا تتيح لنا فقط اتصالاً وشيكاً باربعين مليوناً من العرب الذين يسكنون الى غربنا في دول مستقلة ، بل هو يوثق صلاتنا بستين مليوناً آخرين يتكلمون العربية الى حد ما ويعيشون في بلاد غير مستقلة في افريقية على الأخص . والى سواحل افريقية على المحيط الأطلسي نجد طبقات الشعب العليا تعرف العربية .

هذه المعرفة غير مقتصرة على الشمال بل هي تمتد جنوباً الى نيجيريا وشاطئ الذهب ، وفي جميع الأصقاع السودانية سواء منها تلك التي على ضفاف النيل أو التي تئن تحت الحكم الفرنسي ، نجد اللغة العربية لغة البلاد المنتشرة حتى تحوم الجزء البرتغالي من غربي افريقيا . وكذلك نجد اللغة العربية معروفة في شرقي افريقيا لافي زنجبار وحدها بل بين المسلمين من سكان البلاد المترامية ما بين مدغشقر وبين شرقي أفريقيا البرتغالية .

أما اذا توجهنا الى الشرق لتتعرف الى مقام اللغة العربية فيه وجدنا ان الاسلام قد انتشر وازدهر بين ثمانين مليوناً من أهل اندونيسيا والملايو -

ثمانين مليوناً من المسلمين منتشرين حتى جزائر الفيليبين . وفي سيلان نفسها يحرص أرباب الأمر الغنية على تعليم أبنائهم شيئاً من العربية . أو ليس اذن من الفائدة لدولة الباكستان القوية ذات المركز الجغرافي الوسط الذي تصل به بين مائة مليون من المسلمين الى شرقها وبين مائة مليون آخرين الى غربها أي من الفيليبين والدولة العظيمة أندونيسيا فالملايو فيورما ثم غرباً الى افريقيا حيث يعيش مائة مليون سوى من عددنا منتشرين الى ضفاف الأطلسي . أو ليس من الصواب للباكستان أن تجعل اللغة العربية لغة قومية لها بدلاً من أن تعزل نفسها عن جيرانها العديدين وعن سائر العالم الاسلامي باتخاذها لغة أبرز خصائصها أنها تتصل بعهد انحطاط الدولة الاسلامية . وأخيراً ان العربية لغة عالمية للمسلمين تستطيع أن توحدهم بينما الاردية تفصل بينهم وتعزل بعضهم عن بعض .

سادتي الكرام ، اخوتي في الاسلام ، يا شعب الباكستان ، يا أيها الشعوب المتفرقون في مقاطعاتهم ، إنني أرغب اليكم قبل أن تتخذوا قراراً نهائياً ، وقبل أن تقفروا - وهذا ما أنا مضطر الى ان أقوله لسوء الحظ - من على شفير الهاوية ، إنني أرغب اليكم بل أرجوكم أن تدعوا البحث بنضج في ذلك وأن تتيحوا للجميع أن يدلوا بأرائهم . دعوا العجلة جانباً ورددوا الأمر في ما أنتم قادمون عليه .

وأعود ثانية حتى أرغب الى أولئك الذين أعلم أنني قد أسأت اليهم ، أن يلبأوا حباً بالاسلام ، في جميع مناقشاتهم التي ستلوا بلا ريب في هذا الشأن وفي غيره الى أن يعتبروا الحقائق من ناحيتها التاريخية ومن ناحيتها الواقعية في علنا الحاضر اليوم .

انني أبتهل الى الله أن يستضيء شعب هذه الدولة بنور الحكمة الإلهية قبل أن يبتوا في هذا الأمر الخطير .

كلمة في التضمين

التضمين إشراب فعل وما في معنى الفعل معنى فعل آخر . بحيث يعمل عمله .
 وبتعدى تعديته : كفعل «عَزَمَ» في قوله تعالى «ولا تعزموا عقدة النكاح»
 ضمن معنى (لا تنووا) ومثله فعل «أَنِفَ» فإنه يتعدى بحرف الجر ، فيقال :
 أَنِفْتُ من كذا . فإذا ضَمَّنَاهُ معنى فعل «كَرِهَ» ، صحَّ لنا تعديته
 بنفسه ، ويقال اذ ذاك : (أَنِفْتُهُ) أي كرهته .

وهل التضمين قياسي ؟ نعم . كما يفهم من النصوص التي في كتب اللغة
 والأدب ، ونصوص طائفة من كبار أئمة اللغة العربية .
 كما أن ابن جني في الخصائص قال مانصه :

«وجدت في اللغة من فن التضمين شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ، ولعله لو
 جُمع أكثره لا جميعه لجا كتاباً ضخماً ، فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به
 فإنه فصل من العربية لطيف» .

فأنت ترى أن ابن جني لم يصرح بقياسيته ، لكنه أوشك أن يصرح .
 ولعله لم يجرؤ على التصريح بالقياسية لصعوبة أمر التضمين ، ووعورة طريق
 استعماله : بدليل وصفه له بأنه فصل لطيف .

وما قلناه في التضمين يقال في إنابة حرف جر عن حرف جر آخر من حيث
 أن أكثر أئمة اللغة العربية يقولون انه قياسي : لكثرة ما ورد من ذلك في القرآن
 والحديث وكلام الفصحاء . ومنه قوله تعالى «عيناً يشرب بها عباد الله» أي منها .
 لكننا قلنا بقياسية «التضمين» و «إنابة حرف عن حرف» فان مرجعها
 أو عمدتها توفر سلامة الذوق الفني اللغوي . ولذا كان من المتعسر ادخال
 «التضمين» و «إنابة حرف عن حرف» تحت قاعدة يحتذيها المرء .

فليكتف بمجمعنا بإعلان أن « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف جر آخر » قياسيان بتحفظ كالتحفظ الذي قاله علماء العقائد في تعلم علم المنطق ، من أنه يجوز لمن كان :

(ممارس السنة والكتاب ليتهدى به الى الصواب)

وكذا نقول هنا : ان « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف آخر » ، قياسيان وجائزان لمن مارس البلاغة والكتابة عملاً لا نظراً . وفعلاً لا وهمماً : فهو الذي يفقه أسرار المناسبات والقرائن والمقتضيات حسبما تقرر في علوم البلاغة . وهو الذي يعرف كيف يستفيد من قياسية (التضمين) و (نيابة حرف عن حرف) . وان لم يمارس بلاغة الكلام ربما جملة وهمه على ان يقول : (نزلت السطح) و (جلست الأرض) و (هربت السبع) .

المقربي

تصويبات

وقعت في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا المجلد السادس والعشرين غلطات يجب اصلاحها على الشكل الآتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	١٦	خلية الملتحمة	خلية الشعمة
٣٠	١٧	تتألف الملتحمة	تتألف الشعمة
١٧٢	٧ و ٩	مُشترَك ومُشترَكَات	مُشترِك ومُشترِكَات
١٧٤	١	الشعمة الفجوية	الشعمة الفجوية

مصطفى الشهابي

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

صفحة

للطربرك مار أغناطيوس افرام الأول	ذيل ثان الألفاظ السريانية في المعاجم العربية	٣٢١
للأمير مصطفى الشهابي	أبو حنيفة الدينوري	٣٤٦
للأستاذ شفيق جبيري	مصطلحات ابن خلدون	٣٧٠
« حمد الجاسر	موقع سوق عكاظ	٣٧٧
« عبد القادر المغربي	إقالة عشرة من عشرات الأعلام	٣٩٩
« محمد بهجة البيطار	الموفي في النحو الكوفي (٨)	٤٠٧
« محمد أحمد دهمان	الجزء الثاني من الكواكب السائرة (٤)	٤٢٣

التعريف والنقد

للأستاذ عارف النكدي	في أصول النحو - الوسائل الى مسامرة الأوائل - لليزيديون في حاضرهم وماضيهم	٤٣٣ - ٤٣٤
للكنور جورج حداد	تاريخ سورية	٤٣٦
للبيدة وداد سكاكيني	وحي الأمومة	٤٣٧
للأمير جعفر الحسني	تريينات عصر النهضة	٤٤١
للأستاذ نعيم الجمعي	مصادر الدراسة الأدبية	٤٤٣
« منير الشريف	المجموعة الاقتصادية السنوية	٤٤٤
		٤٤٧

آراء وأبناء

	استقبال عضو عامل جديد	٤٤٩
	كلمة الأستاذ شفيق جبيري	٤٤٩
	كلمة الدكتور منير المجلافي	٤٥٨
	خطاب آغا خان	٤٧٠
للأستاذ عبد القادر المغربي	كلمة في التضمين	٤٧٦
للأمير مصطفى الشهابي	تصويبات	٤٧٧

استدراك

يضاف الى فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين في أول

باب (آراء وأبناء) ما يلي :

٣١٠	انتخاب عضو مراسل
-----	------------------

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملايكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي .
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٥ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ١٦ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ١٧ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

- ١٨ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ١٩ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. مترستين
- ٢٠ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
- ٢١ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٢ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
- ٢٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العث
- ٢٤ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٢٥ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
- ٢٦ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي
- ٢٧ - الرسالة النباتية : للأمر مصطفى الشهابي
- ٢٨ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٢٩ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق